الى القارئ

لم نزل ندعو فى هذه المجلة الى ابراز الشخصية التونسية وتركيز المقومات القومية التى نعتقد ان الدين الاسلامى الحنيف بمثابة حجر الزاوية منها ، كما لا نزال منذ أربع عشرة سنة نواكب جهود الفكر الاسلامى فى سعيه الى استئناف حياته الزاخرة وحيويته الخلاقة بعد أن رانت عليه قرون الانحطاط بظلامها وجمودها بسبب تعطل العقل وتحجر الخيال وسلطان الاوهام .

وكنا - ولا نزال - نؤمن بأن نجم الاسلام سطع ونوره أشع بفضل وفائه لروح العصر ومقتضيات الحياة وان مئات الملايين إنما ارتضوه لهم دينا لأنه حررهم واستجاب الى رغبتهم فى الكرامة والحرية .

وان الصوامع والمساجد التى لا تزال قائمة بهذه البلاد منذ ثلاثة عشر قرنا - ولن تزال - والتى عمل النظام الجمهورى الفتى على ترميمها وإضافة الجديد والعظيم اليها - ولن يزال - لم تبق وتصمد بضغط الجنود والعمال ولا بسطوة الرهبة أو جبروت الرهبنة ... إنما الدين الاسلامى دين الحرية ودين الاحرار ... « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ولم نزل - الى جانب ذلك - نؤمن بحرية الفكر لأن « النفس متمردة بالطبع من العبودية » كما قال الغزالى ، ولأن الحق يبرز بعد إعمال الفكر والمناظرة والمناقشة ، ولأن الثقافة لن تقوم لها قائمة ولن يكتب لها الأصالة اذا هى اعتمدت عبودية الفكر أو تسامحت مع الدعاة الى استرقاقه ، ولأن بلادنا أرادت لها الأقدار ان تكون كالجسر الممدود بين الشرق والغرب ، تصيب من نفحات روح الأقدمين ، كما تصغى الى انغام الجديد وتتفاعل مع تيارات العصر الحديث .

فلا يذهبن أحد - بعد ذلك - الى الظن بأننا نقصد فى كل ما ننشره - عملا بحرية الفكر وتشجيعا للأقلام الناشئة وإيمانا بالآية الكريمة : « أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » - الاساءة لأحد أو الازدراء بالدين أو إذاية عواطف المؤمنين .

فحذار أن نطفىء نورنا بأفواهنا فنرمى شبابنا الصاعد الطموح - ولو أخطأ أو زاغ عن القصد - فى أحضان اليأس وأتون الفتنة وندفعه من حيث لا نشعر الى اعتناق مذاهب الدهرية والسير مع تيارات الالحاد أو الوقوع فى متاهات العقوق ! حذار ان يصدق فينا قول أبى حامد الغزالى : « رب عدو عالم خير من صديق جاهل » .

فليفهم القوم ، ان كانوا صادقين وعن الاسلام الحق غيورين ، أن دين الله الحنيف سيبقى نوره ولو كره الكارهون !

الفكر

الصنم

بقلم : أبو الحسن

حدث ابراهيم قال :

انتفضت من نومي العميق وفتحت عيني .فتهاطلت نجوم متراقصة دائرة آفلة ثم استوى النور في بصري وقد شعرت بوجهي يرزح في تجاعيد اليمة متكرشة كان ماء ملحا داخل جلدي .وقلت لصاحبي وكان باسطا ذراعيه الى جانبي يرقب يقظتي من نوم ثقيل كالدهر : «نِمتُ ورأيتُ» فحرك اذنيه كانه يقول : «هي بعض اضغاثك تعاودك افلا تقتلها وتخلص الى الواقع .

فقلت :

«هوذا . رايت اني صعدت الى جبل قريتنا حافي القدمين عاري الركبتين ضاحكا والريح

تصفعني والاحجار تقف في قلبي وعند رجلي ناتئة ثابتة حتى وصلت الى السحاب وقد كرهته مظلما جافا واحببت النور يشع ويغمرُ ويحضن ويدفع الى الحياة جوعا وايمانا بعيدا عن عفن الشك وبرد الاستسلام .

وناديت اهل قريتنا فتجمع الشيوخ يجرون الهرم . والشباب يرقبون جمر الحياة ويحملون قلقا لقيطا بعيدا عن حيرة المؤمنين .

وقلت :

« تم العهد اللقيط ونشأَ الجيل الجديد زاخرا يستأصل القلق ويحرق امراض الخيال ويأكل ثمرة ارضه حرثا ونهشا عريقا ويبقى من ارضه وجباله حياته . تغمره لذة الحياة وتلدغه الحيرة فَيَبْقَى !

« وهوى الامل الكاذب ونشأ الجيل الجديد صاخبا

يمزق السراب ويتوغل عروقا ملتهبة في ارضه يشم منها رائحة قوية عتيقة تسكنه فَلاَ يَتَلاَشَى .

«وقام الصدق اشعة ونشاً له الجيل الجديد عاري الصدر يطرح الالم المصنوع وينزع الى ذاته تخفق بياضا ناصعا يضمه فَلاَ يدْنَس .»

ونظرت فاذا القوم حشائش واحجار متنـاثرة كانها تضحك .

وبقيتُ مغروسا في الجبل ــ تطوقني سحابتان ــ صَنَماً لاَ يَبْلَى .

ابو الحسن

1948

من « أناشيد الاطفال »

حكمة النسر

شعر : أحمد المختار الوزير

تمثيلية ذات مشهد واحد
الاشخاص : النسر ، والمكاءة ، والبازى

المكاءة :

(فوق صخرة رمادية من صخور قمة الجبل ، تخاطب النسر ، فى مزيج من فرحة النجاة ، ومن الفزع)

يا أميرَ الطيور، ياصاحبَ العزة غوثا، يا منصف الابرياء
أنا، في الطير، أمّ خمس من الزّغب بجهدى أقوتُها وعنائى
أنا أرعَى عُشِّي ، أمدّ عليه من جناحي، ظلالَ أمْنِ الرّخاء
قد، لعمري، خرجتُ أسعَى فأبصرت عَجَاجا مُدوّما في الفَضاءِ
ثمّ أبصرتُ بازًيا أزرق العينين يهوي بمخلب الاقويَاء
مدّ، حوْلي، جنَاحه. وهفا يعْلو أمامي ، مُراوِغا، وورَائى
فتصعّدْتُ، بغْتة ، وتعَاليتُ لَواذا، بالصّخرة الشمّاءِ
أنا أشكو اليك من مخلب البازي وأرجو حمَايةَ الضُّعَفَاءِ
مَنْ سوَى النسر، من سواكَ لامنى يامَلاذي ، ياسيدَ البُصرَاءِ

النسر :

(وهو فى شممه يرأف بالمكاءة ، ويحنو عليها ، ويعدها الأمن والانصاف)

لاترُاعِي ، وأنتِ ذَاتُ بيَانٍ عَبقري، يَسمُو على الفُصحَاءِ
لاتراعى ،وسَكّني، منك بَالاً ولكِ الامنُ دونَ بازي العَدَاءِ
سينَال العقابَ ان لم تكفكفْه عن الشرّ حكمَةُ الحكماءِ

النسر :

(الى البازي ، وقد مد اليه جناحه وأحضره بين يديه الى جانب المكاءة)

يا مهيضَ الجناح، كيف تَجرّأت عَلَى فَنّ عبقري الغنـاء
هيَ أنثى المكّاء تَشدُو كمابشدو وتَسعَى لكَسْب عَفْو الغذاء
فتلقّيْتها بكيْدٍ ، وعَجّجْتَ وماذا لولاَ احتيال الذكاء
لَغدتْ بينَ مخلبٍ منك ومنْقَار صَليبٍ ، فَريسة الاعتداء

البازي :

(الى النسر ، فى انكسار الذليل ، يحاول الدفاع عن نفسه ، ويتشجع محتميا بالواقع مشيرا الى الفارس الذى يصيد له)

الامانَ الامانَ، ياصاحبَ العزّة حتّى أنيرَ غَيْبَ الخفاء
فيّرى سيدي من الامر أنّي لَسْتُ حرًّا، مُضَلّلَ الغُلُواء
هُو ذا جلْجُلي المُرنّ،وخُرْصي وخُيُوطي ، ومَنْ اليه انتمائي
ذاكَ في الناس فارسٌ دأبه الصّيد ببازي القَطَا، وكلب الظّباء
فاذا صِدْتُ نلتُ قَدْرَ كفافي منْ قُشامٍ،أوْلاَ فشرّ الجزاء

النسر :

(فى كبرياء ، ونبل ، ووداعة الحكماء ، وهو عف لا يصيد ولا يفترس ، وانما يطلب الجيف ، يخاطب المكاءة والبازى معا)

مالنَا، في الانسان أمر ولا نَهْي ولَكنْ لنَا عظيمُ الرّجاء
أنْ يُرى فى الغدِ القريب من الدّهر أليفا، دُنياهُ سلمُ الاخاء

أحمد المختار الوزير

الاسلام والوطنية
او
اقرأ باسم ربك

بقلم : البشير بن سلامة

المتقوقعون ، لا آوتهم السماء ولا احتضنتهم الأرض

ليس أخطر على الاسلام ممن استسلم الى أوهام وطقوس ظنها الدين الحق . وليس أشد على الاسلام ضررا ممن ناء عليه زائف الدين بكلكله فحمله عبئا أنقض ظهره وكبل حياته وحجر حركاته : فاطمأن ، ولا إطمئنان المؤمن الحق . وأسلم ، ولم يسلم وجهه لله قراءة وخلقا وكرما وعلما وكتابة . « **ومنهم أميون ، لا يعلمون الكتاب إلا أماني** » .

هؤلاء هم **المتقوقعون** حملوا « دينهم » **قوقعة** على ظهورهم وأخلدوا اليها واعتبروها حصنا يقيهم غوائل الدهر وينجيهم عذاب الضمير . وما حسبوا انها قد عزلتهم عن العالمين ، فلا آوتهم السماء ولا احتضنتهم الارض ، وما أدركوا أنهم كسدنة الجاهلية لا تقوى ولا ورع ، هممهم أن يعيدوا في حركات متوارثة آلية ما ظنوا أنه الدين الحق .

لقد حنطوا أعز ما أوحى الى محمد : **القرآن** وراحوا يرددونه كالببغاوات ويحفظونه ولا فهم ، فادخلوا على الاسلام من الاوهام والمفاهيم المتحجرة ما الدين منه براء . وأصبحوا يتحدثون باسمه ويذودون عنه ويعلون أصواتا حسبنا أنها خفتت الى يوم الدين .

هذه الاصوات ، ومن حسن الحظ أنها ليست كثيرة في تونس ، لم نجدها ربطت الدين بحياة الأمة ومصيرها ولا نظرت اليه نظرة الذي يحيا بحياتها بل هي اعتبرت الدين شيئا معلقا بين الارض والسماء .

فهل بحث هؤلاء البحث الدقيق العلمي عن مكانة الاسلام من الديانات الاخرى فى عصرنا هذا ، عن مدى التطور الذى فتحته الكنيسة فى وجه المسيحية ومدى ما قام به المسلمون مما يشبهه؟ وهل بحث هؤلاء عن فعالية الاسلام أمام فعالية المذاهب السائدة فى العالم ؟ وهل عملوا على اخراج المفاهيم الاسلامية الخالدة من لغة العهود القديمة الى لغة العصر وأبعاد العصر ؟

وهل حاول هؤلاء أن يبينوا ما فى البورقيبية من اخلاص الى الروح الاسلامية الحق المبنية على مصلحة الأمة ومصيرها ؟

وهل انكب هؤلاء على الطرق التى يمكن بها ان تصل اللغة العربية الى مزاحمة اللغات الحية الاخرى ؟

وهل قالوا كلمتهم فى « الفرانكوفونية » وإمكانية خدمتها للمبادىء الاسلامية واللغة العربية ؟

وهل حاولوا أن يبينوا موقف الاسلام من خوارق القرن العشرين ، من معجزة أبولو 8 مثلا ؟

لقد سكتوا عن القضايا الجوهرية التى تتعلق بحياة أمتهم ولغة أمتهم إزاء أمم العالم ولغات العالم ، ومضوا يتحمسون للدين بلا أمة ولا يتحمسون للأمة ولمصلحة الأمة بالدين . هم أقاموا حاجزا بين الاسلام والأمة ونظروا الى الدين بصفة مطلقة ونصبوا أنفسهم أوصياء عليه ولم يفطنوا الى أنهم أساؤوا الى الاسلام عندما قطعوا بينه وبين الزمن : زمن الأمة التى اعتنقته . إن هؤلاء ، لم يمعنوا النظر فى أول ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » ولو تدبروا هذه الآيات واخرجوها من التفاسير التقليدية التى لم تضعها فى إطارها الثورى التجديدى العظيم لما زجوا بأنفسهم فى معاطن **القوقعية** المضحكة .

اقرأ باسم ربك

لقد سبق لى أن بينت قيمة هذه الآيات ولكنى أريد أن أزيد بيانا فى هذه المرة لأن جل التفاسير اقتصرت على المعنى الظاهر ولم تحاول الغوص فى الأبعاد التى فتحتها على البشرية عامة . ذلك أنه من الغريب أن تكون الفاتحة بالنسبة لمصحف عثمان هى السورة المبدوءة بآية الحمد لله بينما المصحف

الذى أثبته على وشيعته فاتحته سورة العلق • ومن الغريب كذلك أن المفسرين لم يقفوا طويلا عند سورة العلق مثل وقفتهم عند الفاتحة بالتفسير والتعليق ، وهل للمسلم أن يسائل نفسه : لم لم تتصدر هذه السورة المصحف رغم أنها هى مفتاح القرآن ، والقرآن مصدر اقرأ ؟ وما هى العوامل التى تضافرت حتى أصبحت الفاتحة هى رمز القرآن ؟ هلا يمكن القول أن على بن طالب كان أقدر الصحابة على فهم الروح الحقيقية للاسلام وانه أول من وضع لبنات التفلسف فيه وأول من وفق فى فقهه ؟ أنا أميل الى القول بذلك • لأنه فهم مدلول الآية الكريمة فى أعمق أعماقها •

ولقائل أن يقول ما بالنا وهذا الرجوع بنا الى قضايا قد خاض فيها من قبل المسلمون وقتلوها بحثا وتنقيبا ولماذا هذا الالحاح فى ضبط هذه الآيات ؟ ولماذا هذا الاتجاه نحو إذكاء مواطن نقاش لم ينشأ عنه إلا الاختلاف والشغب ؟

أقول إن هذا الذى تشبثت بشرحه وتأكيده وضبطه إنما هو صلب القضايا التى نعيشها اليوم وقضايانا تتلخص فىمفهومين اثنين : الأمة واللغة من الوجهة الكتابية • ومفهوم الأمة مرتبط عند الامم الاسلامية أشد الارتباط بالاسلام كما سنرى وأن مفهوم اللغة عندنا مشدود الى القراءة أى القرآن وبالتالى الاسلام •

لهذا رأيت أن الآيات الاولى التى نزلت على الرسول هى أكثر دلالة على روح الاسلام من آيات فاتحة الكتاب لأنها تحتوى على المدلولات الآتية : القراءة والخلق والكرم والعلم والكتابة • والذى يهمنى هنا هو القراءة والكتابة • فالقراءة وبعدها الكتابة لا تشير الى العلم والمعرفة فقط بل هى تمثل تحولا اراد أن يدخله القرآن على المجتمع العربى ، تحولا يخرج القبائل المشتتة مما قبل التاريخ الى التاريخ ، تحولا يدفع الأميين أى الذين ليس لهم كتاب الى أن يكون لهم كتاب ، تحولا يجعل من شتات الناس أمة قارئة كاتبة (بالقلم) •

الاسلام أول بان « للوطنيات »

وأريد هنا أن ألح على مدى ارتباط مفهوم الأمة بمعناه العصرى والقرآنى بمفهوم القراءة والكتابة • فالاديان من قبل بنيت على الكلمة (Le verbe) والاسلام على ما أظن هو أول من بنى الدين على الكتابة والقراءة والفارق عندى عظيم بين الكلام الملقى المسموع والكلام الذى أعد ليكون مقروءا مكتوبا وهى قفزة عظيمة بالنسبة للبشرية • وهذا الذى جعل الكثير ممن انكبوا على

دراسة الاسلام يؤكدون أن من أخص خصائص الاسلام أنه لم يوجد كهنوتا ولا كنيسة ولا ممثلين أوصياء على الدين • وهذا واضح بين للعيان **ولكنهم لم يتفطنوا الى أن سبب ذلك هو هذا العزم الاول الذى جاء به القرآن فى جعل القراءة والكتابة فاتحته • وهو اقرار لأحقية جميع البشر فى التصدى للدين بالفهم والممارسة من دون ميز ولا فوارق • وهو تحول كان له أثر كبير فى تاريخ الانسانية •**

ذلك أن الكتابة والقراءة كانتا محصورتين فى قلة من الناس والكتب السماوية وغيرها من الشرائع لها أربابها وكهانها ورهبانها الذين احتكروا الدين واختصوا به وإذا بالدين الاسلامى يدعو الى إشاعتها بين الناس جميعا وبما أن القراءة والكتابة المعتمدة على النشر الحقيقى (*) يدفعان على تحرر الفكر البشرى وعقلنة معتقداته ومعاملاته وهما بالتالى وعى بالشخصية وتمكين لها ورعاية وانتشال لها من عوامل الخنوع والاضمحلال والتفسخ ، فانه بطبيعة الحال تنشأ فكرة الأمة إذ الأمة لا تولد عفوا بل هى نتيجة لتحول كبير ، تحول من « الاجماع الاخلاقى » الذى يسود مجتمعا ما والذى انبنى على « انعدام كل فكرة فردية » الى « اجماع أخلاقى نتيجته التضامن الحر الواعى للافراد » • هذا المفهوم العصرى للأمة نجده منبثقا من الاسلام إذ هو دعا باللفظ الصريح الى القراءة والكتابة • وقد انتشرت رغم الشوائب فيما بعد انتشارا كبيرا بين الناس • كانتشار الطباعة فى أوربا وايذانها بالعصر الذى ستظهر فيه « الوطنيات » • فلماذا نحن نوافق عندما يقال لنا إن الطباعة التى نشرت بين الافراد فى أوروبا الوعى وعرفتهم بنعمة حرية الرأى كانت عاملا قويا فى انبثاق « الوطنيات » (Nationalités) وتعزيزها ولا نسلم بهذا الذى أتى به القرآن من إشارة الى أن عصر الامبراطوريات المبنية على الدول فقط قد بدأ يأفل ويحل محله عصر الامم • **ان الاسلام فى ظنى هو أول بان « للوطنيات » •**

وهذه الفكرة خطيرة جدا إذ هى مقاومة للفكرة السائدة القائلة بأن الاسلام أتى لتوحيد الشعوب وجعلهم أمة واحدة • نعم أتى للتقريب بين الشعوب وحثهم على التعاون تعاون الأمة مع الأمة • واذا ظهرت فى فترة من الفترات شبه وحدة تهيمن عليها امبراطورية واحدة كالخلافة الأموية أو العباسية فانما ذلك ليس هو من الاسلام فى شىء بل هو مجرد سيطرة العنصر العربى القوى على الأمم الاخرى شأنه شأن الامبراطورية الرومانية أو الفارسية والدليل على

(*) راجع ما كتبته فى هذا الباب بمجلة « الفكر » السنة 13 – عدد 10 – ص 919 – 920 •

ذلك أن الاسلام انتشر انتشارا كبيرا بين الشعوب التى اكتسحها العــرب ومعهم الدين الجديد وبث فيهم الوعى والشعور بأنهم متساوون احرار فمـا لبثوا أن كونوا أمما وقفت فى وجه الغاصب وحرصت على التشبث بمقومات شخصياتها بما فيه الاسلام • فكثير من الأمم حافظت على الاسلام وفرطت فى اللغة العربية (الأمم الاسلامية الناطقة بالعربية ما هى إلا سدس الأمم الاسلامية قاطبة) • وهذا لم يؤثر كثيرا فى اسلامها بل نجد أن الكثيــر من البلــدان الاسلامية غير الناطقة بالعربية متشبثة بالاسلام أشد التشبث وأعانت على تدعيم الدين وإثرائه بما كتبته وأشاعته فى العالم (آنظر باكستان وإشعاع إقبال) •

ألا ترى كيف أن الأمم الأوربية التى تغذت فيما تغذت به بالروح الاسلامية عن طريق التــراجم ووصلت بعد إشــاعة الطبــاعة الى أن تكون مجموعة من « الوطنيات » ألا ترى أنها لم تصل عند استعمارها للأمم الاسلامية الى صهرها فى بوتقتها ؟ لماذا ؟ لأن هذه الأمم قد كون فيها الاسلام الشعور بشخصيتها وذاتيتها ولأن طبيعة الثقافة الأوربية مبنية أيضا على حث الفرد على وعى كيانه وتزكية حريته والتضامن من أفراد مجتمعه • لهذا كانت النتيجة الحتمية هى إنماء حب الوطن وإذكاء الوطنية التى هى شعور حاد بوجود الأمـة مما أدى باستقلال هذه الشعوب (*) كذلك فان الذى نشهده اليوم من تصدع فى العالم الشيوعى إنما هو من هذا القبيل • ثــورة قــامت على نشــدان العــدالة بين الكادحين وبث الوعى بينهم فاكتسحت شعوبا مجاورة وغذت فيها هذه الروح فاذا كل منها يشعر بطبيعة الحال بقوته وبوجوده كاملة وبكيانه كوطن فيثور ويسعى الى فك هيمنة طال أمدها •

هذا هو بالضبط الذى وقع بالنسبة للأمم الاسلامية وخلاف ذلك فانما هو من قبيل الاحلام اذ لا مفر اليوم لكل شعب من الشعوب الاسلامية من أن يشعر شعورا حادا بوطنيته المنبثقة من الاسلام الحق وأن يبنى مجد أمته بالتعاون بين جميع الشعوب الاخرى وبالانفتاح على العالم عن طريق مجموعات متعددة تبنى تارة على وحدة اللغة : العربية أو غيرها وطورا على الوحدة الجغرافية أو غيرها بشرط أن تسعى كل أمة على المحافظة على مقوماتها وخصائصها وتقريبها الى أذهان أفراد الأمة الاخرى • فأنا لا أفهم تعاون الأمم وبالتــالى **الدول الناطقة بالعربية** إلا على هذا الاساس كما لا يمكن لى أيضا فهم « **الفرنكوفونية** » إلا على

(*) ألم يزد تعلم نخبة من التــونسيين الفــرنسية فى النصف الاول من هذا القرن تشبثا بتونس وبمقومات تونس ومن أخصها : الاســلام واللغــة العــربية •

أنها مجموعة أمم تريد أن تتقارب عن طريق اللغة الفرنسية لأجل ازدهار وتقدم كل منها .

لهذا فان **القوقعية** (*) ، أى اعتبار الدين ملجأ فقط أو شيئا معلقا بين الارض والسماء يدافع عنه بصفة مطلقة هى ضارة بالاسلام وبطبيعة الحال ضارة بالأمة .

فليس من الاسلام الحق إضاعة حقوق الأمة أو اغفالها باسم الدين وليس من الاسلام الحق تجميد اللغة وتحنيطها باسم القرآن . فلا إسلام إلا بالوطنية فى معناها الواسع الشامل ولا دين إلا بالمغالاة فى محبة الوطن . أما **المتقوقعون** فاخوان الشياطين .

البشير بن سلامة

(*) **القوقعة** ما تحمله السلحفاة أو ما يشبهها من الحيوان على ظهرها وتستعملها إتقاء للاخطار فتنسحب فيها وتنعزل عن العالم تماما حتى اذا جرفتها العواصف وألقتها فى ما تكره فلا حول لها ولا قوة .

« لقد دفعنا الى بعث « الفكر » لنمكن رجال الفكر من تخليص تراثنا الثقافى مما علق به وعشش فيه من غريب النزعات وأجنبى التيارات وخادع المظاهر . وبالخصوص لنمكنهم من ايجاد تلك القواعد الروحية والفكرية الثابتة التى يقام عليها صرح الامم والتى دلت القرون تلو القرون على أنه ما من أمة فقدتها أو زاغت عنها إلا تاهت وتهافتت وذابت شخصيتها وباءت باحتقار الانسانية » .

محمد مزالى

(الفكر ـ السنة 2 ـ العدد 2 ـ 1956)

جبانة المؤمنين

قصة بقلم : رضوان الكونى

كف وكتف ومقبض٠كفان وكتفان ومقبضان٠بل أربعة أكف وأربعة أكتاف وأربعة مقابض ٠ أربعة مقابض غليظة تنزل غائصة فى أربعة أكتاف مستندة الى أربعة أكف ٠ أربعة مقابض صفراء ، خشبية ، غليظة ، مشققة تنزل حافرة ، غائصة فى أربعة أكتاف تنتمى الى جبة سوداء ، وجبة شهباء ، وجبة حمراء داكنة ، وجبة زرقاء قذرة ، مستندة جميعها الى أربعة أكف صفراء ، رطبة ، معرضة كلها لحر الشمس التى لم تدع نسيم الصباح وهواء الضحى من استرسالها فى مداعبتهما الوجوه ، فهى قد أخذت مكانها فى الوجود ، متمادية فى العلو والتعالى فى السماء ، مشرفة على ما تحتها ، مرسلة وهجا يحرق الثرى ويجفف الاعشاب من الطل ، ويعتصر عرق الوجوه المتمايلة ، المترنحة فى مشيتها المهمهمة ، المغمغمة ، ويضرب الالواح والمقابض الخشبية فيفلقها ، ولا يردعها الى الوراء ، فهى دائبة فى التنقل والسعى الى الامام ، قدام أخلاط كثيرة من الناس يتماوجون ، يصعدون انفاسا لاهثة ، مزمجرة ، ويتلاطمون ، ويركلون الحجر دونما قصد أو حذر ، باعثين من بطونهم أصواتا منغمة خارجة من أفواههم المزبدة دونما افصاح ، دونما اكتراث ، وغمغمات تجول بين الصفوف الممتدة على أرض الطريق الطويلة ، وعيون باكية فى وجوه الهبتها الشمس فأفرزت عرقا يسيل على الخدين حتى اختلطت الدموع بهذا العرق ، فاذا الكل يبكون ولا يبكون ، ويسيرون سير الافعوان البطىء الحركة ، الضعيف الحياة ، يكسوهم واصفرار كثيف وعرق ينصب ثقيلا ، خشنا ٠ والموكب دائم التقدم فى بطء بطىء ، وخلف النعش وسماط الرجال المشيعين ، كانت النسوة على بعد خطوات يمشين مخبطات على أفخاذهن ، دامعات العيون ، نادبات الخدود ، كالحات الوجوه ، ساهمات ٠

ــ الله يرحمه ٠٠ برد الله ثراه ٠٠ أدخله الله الجنة ٠٠
وصبى تعلق بتلابيب أمه يسألها ويلح فى السؤال بحيرة :
ــ أين الله ؟ ٠٠ أين الله ؟ ٠٠
وجواب مقنع من هيكل أنثى تقدمت بها السن :
ــ فى قلوب المؤمنين ٠
(الله واحد ٠٠ كيف يكون فى قلوب المؤمنين)

الشمس تذيب شحم الموسرين ، وتحرق عظام المعوزين ، وتفرز العرق ، أو تخلق الدموع · الشمس حارة كموت هذا الانسان ، والسير أضنى الجماعة وأدهشهم ، وتملكهم القلق والعياء لو لم تبد لهم الجبـانة من بعيـد تستعـد لاستقبال نزيلها الجديد ·

وعبر أجفاني المتعبة رميت بنظر مكدود وعقل شارد الى بعيد حيث امتدت جبال قامت فى سفحها حقول وحدائق غناء ، خضراء ، وارفة الظلال يتمنى ظلها كل من يسير فى الجنازة · ومن فوق الرؤوس كانت السماء صافيـة الزرقة ، رحبة ، تنزلق فيها الشمس الآكلة بأشعتها كل شيء · وفضاء كثيف تشقه بعض الغربان الناعبة والحداء الصائحة ، والنعش مرفوع يتنقل ·

أربعة مقابض صفراء ، خشبية ، غليظة ، مشققة تنزل حافرة ، غائصة فى أربعة أكتاف تنتمى الى سترة شخماء ، وسترة بيضاء مبقعة ، وسترة سوداء بالية ، ، وسترة زرقاء تافهة ، مستندة جميعها الى اربعة أكف صفراء خشنة · وبين المقابض والاكف والاكتاف الواح قديمة مهترئة أكلتها الشمس وبدأ السوس ينخرها ، ألواح تقزقز وتصر صريرا · ومحمول هذه الالواح كتلة لحم مرمية مغطاة بلحاف أبيض ، ترتعش فى كل اتجاه مع أى حركة ·

منذ حين كان لهذه الكتلة من اللحم نفوذ ورأى فى الامور ، كان لها منازل وحقول ، وأهل وبنون ، وأحباء ، وأصدقاء أوفياء · منذ حين كان لها حياة وروح وعقل · لم يضع من كل ذاك شيء الا عمر وحياة وروح وعقل ، فنيت كلها وبارت واندثرت · لم يبق سوى هؤلاء المشيعين من الاهل والاحباب أو هذه المنازل الجاثمة تنعاه بصمتها وخلوها ، وهذه الحقول تشهد عبوره الاخير محمولا ، مرفوعـــا ·

ووضع النعش ، وأقيمت الصلاة خلفه ، بينما كان الحفارون يمهدون القبر برمل حر ، طرى · ويهمهم القـوم بكلمـات تـرثى الميت ، وتـرثى عمـره الذى انطفأ فجأة ، وترثى الايام السعيدة ، وترثى تعاسة الحيـاة والوجـود وكساد التجارة وشقاء الانسان · ثم يقتربون من القبر وتصيح النسوة وهن يرين الفقيد آخر مرة ، ويوارى فى الارض ، وتوضع الاحجار ثم يهـال عليه التراب ، ويحكمون بناء القبر بالجص ، ثم يصب الماء وتغسل الايدى فوق قبره

واصطف أهل الميت يتقبلون التعازى ووجوههم الى الارض مشدودة ، بعيون مفتوحة ، متسعة ، تلتهم التراب · ومر الناس يقبلونهم واحدا بعد آخر بشفاه كسرت برودتها الشمس ·

ـ الصبر .. البركة فيكم .. تلك ساعته .. الله يرحمه .

وفي ركن الجبانة حذو السور كانت النسوة واقفات يتأملن من بعيـــد ويصرخن بهدوء ، ويشهقن ، ويكفكفن دماء ندوبهن .

وصبي تعلق بتلابيب أمه يسألها ويلح في السؤال بحيرة :

ـ أين الله ؟ .. أين الله ؟ ..

وجواب مقنع من هيكل أنثى تقدمت بها السن :

ـ في قلوب المؤمنـــــين .

وتفرق الجمع . وبقي أفراد اسرة الهالك . رفعوا رؤوسهم ، نظـــر بعضهم الى بعض ، ثم التفتوا نحو القبر الذي مازال أخضر البناء . وبرزت دموع في أعينهم ، لم يمسحوها بل تركوها تقطر على ثيابهم . وتحركوا راجعين الى المنزل ، شاغلين البال بما خلفه الراحل .

واجتمع الجمع يوم « الفرق » ، وتحلقوا حلقا ، حلقا . وفي مدة انتظارهم الاكل ، قامت الحناجر المتهيئة دائما لرفع عقائرها ، وبدأت اللهجات المنغمة تتجمع في لهجة واحدة لتقول على وتيرة واحدة وفي صوت جماعي رتيب : « يا سعادة من يقول لا الاه الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. »

وفاح في الجو اللحم المطبوخ ، فاذا بالقصاع قد أخذت تفد على الجالسـين المنتظرين فتصدوا لها بكل ما يجب أن يقوم به انسان يوم « الفرق » من أكل وحمد لله على هذه النعمة الموفورة .

وأكلوا ، وشبعوا ، فانحل مجمعهم وتفرقوا ، عندما برك الليل على الوجود .

وباشتداد سواد الليل ضرب الميت أحجار جدثه وأعلاها عاليا وقام ، واستوى خارجا ، وتمطى وتمشى بين الاجداث ، وانتبه الى أن أحدهم يريد الخروج من قبره فانتظره حتى برز من تحت التراب . والتقيا ، وتعارفا ، وتحادثا ، فاذا كلاهما حانق شديد الحنق ، غاضب جد الغضب .

قال الميت الحديث عهد بالمقبرة يخبر الآخر :

ـ الواقع قد خلت الدنيا من الاصحاب . صديقك فلان ، المخلص ، الوفي لك .. ما كنت أحسبه يقدم على فعل ما فعل ..

ـ مـــــــاذا ؟ ..

ـ قلة حياء ، وعدم اعتبار للعشرة والصداقة ٠٠ أنا أحار كيف تسمح له نفسه بالتزوج من أرملتـــك ٠٠

ـ بعلمي هذا ٠٠ ماذا تريد ٠ زيف ٠٠ دنيا الزيف ٠٠ كنت مخطئا في وثوقي به ٠٠ والاعجب اقدام أرملتي المحترمة على هذا ٠٠ تبا لها ٠

وانضم اليهما ميت ثالث متعثر في مشيته ، وقام اليهم رابع ، فخامس ، فسادس ، ثم قام اكثر الموتى ، وتجمعوا فوق أرض المقبرة وأخذوا يسـألون الجديد عن الجديد في الدنيـا ٠

ـ ابنك نجح في امتحانه الاخير وذهب الى الخارج لاتمام تعلمه ٠ بـاع أخوك كل محاصيل الارض بربح كبير٠ ابنك الصغير انكسرت ساقه٠ شجرة العنب التي كانت تجلل واجهة المنزل أتى عليها الجمل ٠٠ ابنتك تزوجت من ذاك الذي منعتها عنه ٠ أما أنت ، فأكثر قمحك المخزون سرق ولم يبق الا النزر القليل ٠ الامطار قليلة ٠ السياسة العالمية كعهدك بها ، في اضطراب ٠ العجوز أمك مريضة أسفا على موتك ، وقد خلفتها ملازمة الفراش ٠ وأشياء أخرى ربما تعلمونها من بعض زائريكم يوم الجمعة ٠ أما أنـا فقـد أخبرني الشيخ والدي اليوم بأن مهابته انتهكت ولم تعد له كلمة نافذة ، وبأن الاخوة والابناء والزوجة في صراع كبير على الارث ٠

وتحيروا واحتاروا مما صار بعد موتهم ، وثارثائرهم ، وهاجوا وماجـوا ، حتى ارتجت جوانب المقبرة في ليلة الجمعة ، وأصبح غليانهم طاغيا على كل شيء في هذا الليل ، وقامت الجبانة نائحة ، معولة ، دافعة بكل ما حوت من الاجساد المتعفنة ومن العظام المتفرقة التي رجعت اليها الروح ٠

واتهم بعضهم هذا الجديد بأنهم رأوه ، عندما كانوا معه في الحياة الدنيا ، يمشي في جنازة « فلان الفلاني » ضاحك الوجه ، ثم يعود من المقبرة فيفعل ما يشاء كأن « فلان الفلاني » لم يمت ٠ وقامت الاتهامات من كل جانب ، كل متأخر يتهمه من سبقه ٠٠ وهكذا ٠ واحتدمت أصواتهم وعلت ، فالتحمـوا يتعاركون ويتضاربون ٠ ثم أزمعوا الثورة على الاحياء حتى يرتدوا عما فعلوا ، وربطوا أكفانهم فيما بينها وكونوا مجموعة واحدة وهبوا هبة واحدة عـلى الاحياء يجرون أكفانهم ويصرخون في فراغ الجو المظلم الكثيف ٠

سطعته أشعة الشمس وهي تخترق زجاج السيارة فأفاق ونظر الى هـذه المساحات الواسعة ، الشاسعة ، الممتدة امام ناظريه ٠ وهذا الصفاء الذي تتجلى فيه السماء صاحية زرقاء ، تنزلق وسطها الشمس ٠

ــ آلو ٠٠ آلو ٠٠ نعم أنا هو ٠٠ كيف ؟ ٠٠ متى ؟ ٠. الخامسة بعـــد الظهر ٠٠ رحمه الله ٠٠ طبعا سآتى ٠٠ الدفن ٠٠ فى الصباح ٠. انتظـرونى ٠٠٠ سأبحث عن سيارة خارجة هذا المساء ٠٠ الى اللقاء ٠٠

هل ينتظروننى بالدفــن ؟

هذه ليلة قد مضت ، ومن قبلها قد مضت ليال وأيام وأشهر ، وأعـوام ، والعمر أيام تنقضى يوما فيوما ، ساعة فساعة ، ولحظة فلحظة ، كهذه السيارة المارقة سهما ، تطوى الارض ميلا ، ميلا ، وكهذه الشمس تطوى الليل ، ليلة ، ليلـــــــــة ٠

تلك جبانة النصارى ، ومن هناك جبانة اليهود ٠ مقبرتان هامدتان لاتعرفان الحياة كمقابرنا التى تعود اليها الروح يوم الجمعة ٠

عاجت السيارة الى اليمين ثم الى الشمال ، حرنت ٠ لقد وصل ٠ نزل من السيارة ، وقف ، ونظر متفحصا الجبانة فرأى الغبار متصاعدا يثيره حفـار القبر ، وفاح منها التراب المحروق ، الذابل المصفر ٠

ثم كـان الموكـــب آتيـــا ٠

أربعة أكف وأربعة أكتاف وأربعة مقابض ، أربعة مقابض صفراء خشبية ، غليظة ، مشققة ، تنزل حافرة غائصة فى أربعة أكتاف مستندة كلها الى أربعة أكف صفراء ٠

الله يرحمـــه ٠٠ الله يرحمه ٠٠

وصبى متعلق بتلابيب أمه يسأل ويلح فى السؤال بحيرة :

ــ أين الله ؟ ٠٠ أين الله يا أمى ؟ ٠٠

وجواب مقنع من هيكل أنثى تقدمت بها السن ٠

ــ فى قلوب المؤمنيــــن ٠

ــ وأينهم المــؤمـــنون ؟

فى الجبـــانـــة ٠٠٠

ر ٠ ك ٠

من مشاغل الشباب التونسى

بقلم : أحمد العايد

يحسن بنا أن ننطلق (*) من تحديد لغوى للفظتى موضوعنا وأن نزيد عليهما نعوتا نراها صالحة لضبط سبل البحث فيصبح الموضوع على الصيغة التالية : « مشاغل الشباب التونسى الاسلامى العربى البحر الوسطى الافريقى سنة 1968 » .

* * *

نلاحظ أولا عدم وجود لفظة « **مشاغل** » فى الجمع فى اللغة العربية القديمة والحديثة مع أنها تؤدى أحسن أداء مدلول (Préoccupations) إننا نجد فقط « المشغلة » الاشغولة : وهو ما يشغل : كذلك نجد الشغل والشغل والشغل (ج أشغال وشغول) : « وهو العارض الذى يذهل الانسان ونحوه فيقال : « هو فى شغل شاغل » . وأخيرا نجد لهذا المعنى شاغلة (ج شواغل) .

أما مادة : **ش. ب. ب.** فقد جمعت معانى عديدة : الجمال ، الذكاء ، الشهامة ، النشاط ، الارتفاع ، التغزل ، ايقاد النار او الحرب ثم المعنى الاصلى : الفتاء والحداثة .

هكذا اذا كان للشباب ـ وهو ما بين الثلاثين والاربعين عند العرب القدامى ـ هذه الصفات سعى الى الرفعة وحقق ما فى باطنه من نار موقدة وحقق قيما معينة فرضتها بيئته .

أما اليوم شبابنا « ذاك أو تلك الذى أدرك سن البلوغ ولم يبلغ سن « المروءة » ـ وإن كان على هذه الصفات المذكورة هو على صفات أخرى يريد بها أن يحقق « رجولته » أو « أنوثته » قبل الاوان ، ثم هو أو هى يعيش فى مجتمع إسلامى له قيمه وتقاليده ، عربى له لغة كتابة : الفصحى ولغة حديث : العامية ، فى مجتمع اتخذ اللسان الفرنسى أداة عمل وآمن بدوره الحضارى فى كنف البحر الابيض المتوسط وفى إفريقيا .

(*) هذه كلمة الاستاذ أحمد العايد فى مداولات لجنة الدراسات الاشتراكية حول مشاغل الشباب .

إذن إذا حصرنا الموضوع هكذا تراءت لنا مشاغل هذا الشباب شيئا فشيئا وهو ما يشغل بال التونسي او التونسية الذى يعيش فى هذا المجتمع عينه المثقف ثقافة معينة ـ درس أو لم يدرس ـ وهو أمام الحياة والموت ٠

ـ هل ما زال عربيا « ذاك الذى يدافع عن استقلاله وعاداته وتقاليده حتى الموت رافضا كل تجديد » ؟ ـ هل ما زال على الاسـلام الضيق : « ذاك الذى وقف ضد كل التحاق بركب الحضارة التقنية العلمية الحديثة » ؟ أم هل خلق إطارا ثقافيا جديدا (« والسلوك فى شتى مظاهره ثقافة » قال احد علماء طبائع الانسان) عربى اللسان أو مزدوجه ؟

هل اقتحم الحضارتين العربية والفرنسية أم العربية فقط أم الفرنسية فقط أم العربية والفرنسية وغيرها ؟ هل حقق شخصيته فى واحدة منهما أم فيهما جميعا أم فيهما وفى غيرهما ؟

هل شغل باله وهو فى هذا المجتمع المعين سنة 1968 بالحياة والموت ؟

نلاحظ أولا أن الشباب التونسى ـ أسعده الحظ تعلم أو لم يتعلم ـ غزته الحضارة الغربية ٠ فرغب فى حاجياتها من راديو وترانزيستور وسينما وتلفزة وموسيقى ولباس وتغذية ٠٠٠ لكن هذه الحاجيات تختلف باختلاف مستوى العيش فالشباب العامل ـ أو العاطل ـ فى الحقل أو فى المصنع أو فى غيره ، فى الارض أو فى البحر يكد وراء القوت قبل الاوان ولعله لا ينشغل إلا بحقه فى الحياة تشغيلا وزادا ، ينشط ليعيش وينمى كيسه وكيس الغير عائلته ٠

أما الشباب المتعلم من ذوى اليسر أو العسر فحظه من الواقع محدود وهو ما زال فى دراسته الثانوية أو العالية ٠ إذن ما هى هذه المشاغل التى يعيشها هذان الصنفان ؟

من الصعب أن نأتى عليها كلها إذ لا بد من دراسات علماء الاجتماع وعلماء النفس لها ، إذ لا بد من إفصاح الشبان عنها عن سبيل الحوار الطليق أو عن طريق دراسة آثارهم من شعر ونثر ورسم ونحت وتمثيل وغناء ورقص ٠٠٠ وغيرها ، لكن يبدو أن من المشاغل الاساسية تحقيق الحياة فكر الشاب فى مظاهرها أو لم يفكر ٠ فمتى تبتدىء إذن هذه المشاغل ؟

تبتدىء عندما يشرع الشاب العامل فى الصراع مع القوت ، مع الوجـود وصراع الوجود هو صراع الضغط والبحث عن العمل والبقاء فيه ، هو تحقيق مثال معين فى المجتمع ، هو صراع المرض والموت ٠

وتبتدىء مشاغل المتعلم بالمدرسة خاصة فى السنة الاخيرة من التعليم الثانوى فى قسم تدريس الفلسفة لأن علاقة الاستاذ بالتلميذ تصبح علاقة الحوار والاقتراب من الحقيقة فتكون مغامرة الذهن فيكون الشك فى الحقيقة ذاتها فيكون اكتشاف المشاكل الجوهرية : الانسان ، العالم ، الاله . وقد تبتدىء هذه المغامرة قبل تلك السنة بفضل تحريك أساتذة آخرين للسواكن وبفضل تأثير بعض الكتب والمقالات أو بفضل غزو الراديو والتلفزة والسينما فتتحرر العواطف وتتحرر العقول وتحاول أن تسمو ضمن إطار ثقافى معين ، ضمن مجتمع معين أو تحاول أن تهدم ذلك الاطار ونفس بعض الشباب أمارة بالسوء كما قيل فما معنى ذلك ؟

إن الشباب يجدون أنفسهم راغبين فى تحقيق **سعادتهم** الحينية فيصطدمون :

1) بالأب أو الأم وهما اللذان يمثلان : « **عليك أن تفعل هذا لا هذا** » وبدون أن نذكر عقدة أوديب ونزعة المراهق الى الفتك بالأب أو الأم نلاحظ أن علاقة البنين بالآباء قد تحررت بعض التحرر ولئن كانت هذه العلاقة تتسم عند الاجيال السابقة بالخوف والانطواء عن الذات والزيف أحيانا عملا بمبدإ الطاعة فنراها اليوم صريحة عنيفة ساخرة وكثيرا ما نسمع بعض الشبان ينعتون آباءهم أو أمهاتهم ـ « **الفدة** » « **الوزه** » واللفظة الاولى تعبر عن ضغط مكبوت ، أما الثانية فهى من ألفاظ البلادة وتوضح أحسن توضيح حكم الجيل الحالى على الجيل السابق وتبرز تطاحن الاجيال ، ولا ننسى تأثير ما يقرأ وما يشاهد وما يستمع اليه من أغان كهذه الأغنية الامريكية : « **ماذا أصابنى حقا** » (1) .

« لماذا أرفض الحقيقة
لماذا لا أحيا حياتى كما يتوقع منى أن أفعل
تحصيل شهادة
اشتراء جهاز تلفزة بالالوان
وفى الواقع ماذا أصابنى
لماذا ضرورى أن أقول آمين
لمن أحتقرهم
لماذا لا أصرح فى وجوههم : إنى أمقتكم
آه ـ مركب نقص ـ صراع مكبوت
هذا ما أنا عليه » .

---

(1) What exacthys the Maher With Me : par P.F. sloan et STEVE BARRI (1965)

2) يصطدم بوقار لا سيما إن كان هذا مؤدبا شرطيا لا شيخا صاحبا واصطدامه « **بمؤدبه** » نزال مع ادارة المعهد أحيانا ٠

3) وكما أن الأب والأم والمعلم يهيئون الشاب الى المجتمع الى أن يصبح فاعلا ومفعولا به فى شغل ما ، وكما أن الشغل وظيفة اجتماعية تتنافى ومبدأ الحرية ومبدأ اللذة دون عمل بل تفرض حدا للحريات وهيمنة معينة فالاصطدام بالمجتمع أمر طبعي فى النفس كما أن الاصطدام بالآباء مرحلة تاريخية فى نشأة الانسان، وقد يتخذ هذا الاصطدام صيغة أخرى نظرا الى أن المجتمع اليوم يحدد الانسان بـ « **الذى يسعى دائما أن يتجاوز ما كان عليه** » ويعرفه حسب إنتاجيته ، وكما أن الانتاجية فى صراع دائم مع السعادة الحينية ، مع فقدان الحرية ، مع الكسل ، مع الاستهلاك ، فالاصطدام مع الجماعة متوقع ٠

فهكذا نجد فى مجتمعنا الشاب من بين الشباب ثائرين أعلنوا ثورتهم أو كبتوها وشغلهم الشاغل تحقيق الشخصية وكسب الحياة فى شتى المظاهر كسبا قد يفسد بمعنى « **الرباط المقدس** » الذى ما انفك يذكره فخامة رئيس الجمهورية ، قد يفسد بمعنى « **العقد الاجتماعى** » (حسب اصطلاح جان جاك روسو) (J. J. Rousseau) ويقترب مما دعا اليه بعض فلاسفة الغرب المعاصرين كسارتر (SARTRE) الذى يصرح بأن كل عمل جماعى استعباد لأن الضمير حر مطلقا غير مشغول مطلقا ٠

ـ وهكذا نجد صنفا آخر من شبابنا صنف من رغب عن كل حيرة ورغب فى شهوات البطن بأنواعها أكلا وتغزلا وتخنثا ورقصا ، وفى الامسيات الراقصة مفاجآت ! الحرية الجنسية عند هؤلاء هى الشغل الشاغل لتحقيق الحرية المطلقة ، حيرة الوجود عند هؤلاء هى تلك الى حد أنهم لا يعلمون عن وطنهم شيئا (حتى النشيد الوطنى فهم يجهلونه) ٠ وعبثا حاول من ناظرهم فى هذه الحرية وحواسهم فى مغامرة استيراد السلوك الغربى المثالى تحت غزو الاغنية الغربية والموضا الغربية قرؤوا عنها أو شاهدوها أو نزحوا الى الغرب فعاشوها ٠

لكن إزاء هذا الصنف من « **المتحررين** » نجد من رفض كل تحرر فرضى عن كل ما يقدم اليه غذاء لبطنه أو لمشاعره أو لعقله أو لأخلاقه فكان مستهلكا لكل غذاء بدون نقد ٠

وبين هؤلاء الانفراديين « **وأولئك المتجمعين** » تجمع اللذة طائفة من رضى أن يندمج فى المجتمع التونسى الحالى ، رضى ألا يصطدم معه اصطدام النزال

بل سعى جهده أن يحقق ذاته متسائلا مشغول البال قلقا قلق الوجود أحيانا ضمن منظمات معينة (منظمات الشباب ، الجيش ، الشعب ، الاتحادات بأنواعها) ٠

ومن هذه المشاغل نذكر ما جمعناه من أفواه الشباب فتيانا كانوا أو فتيات أو ما خطر لنا :

ما موقفى من هذه القيم الاساسية الثلاث : الخير والحقيقة والجمال ؟ ما موقف الغير منها ـ والغير هم أفراد العائلة ، هم من أتعامل معهم فى مجتمعى هم ساسة البلاد فى جميع المستويات ؟

ما موقفى من سياسة نفسى وسياسة عائلتى وسياسة دولتى الداخلية والخارجية ؟ هل لى رأى فى مذهب قادتى وفى اختياراتهم الكبرى السياسية والاقتصادية والاخلاقية والتربوية ؟

ما موقف مجتمعنا من العرب واللغة العربية ؟ ما موقفه من الفرانكفونية ولغة العمل هى الفرنسية ؟

ما حظ التونسى من كسب العالم واللغة العربية دون اللغات الغربية الكبرى استعمالا رغم غناها المخيف 94٠000 لفظة بلسان العرب لابن منظور و 45٠000 لفظة بمعجم هانس فيهر (1) ؟ ألا يحسن أن ننظر فيها نظرة علمية شاملة فتوحد ألفاظها العلمية وتيسر قواعدها فتستعمل فى جميع الميادين ٠ ويحسن أن نذكر القارىء أن توصيات مؤتمر الجزائر فى توحيد المصطلحات العلمية (12 ـ 13 ـ 14 فيفرى 1964) بقيت حبرا على ورق (2) ٠

هل حكم على التونسى أن يكون قصير النفس ألا يكسب كل الكسب لا العربية ولا الفرنسية فيتحدث إلى رفقائه ومن فى مجتمعه بالعامية إن كان الموضوع عاديا يوميا بسيطا وبالفرنسية اذا شاء أن يعبر عن شعور ما أو رأى ما ، وفى أغلب الأحايين بعامية تتخللها من جهة ألفاظ بذيئة وشتم للدين والجلالة ٠ ومن جهة أخرى ألفاظ فرنسية كثيرة ؟٠ هل له أن يجزم بأن العربية مقصرة وأن ثقافتها دون الثقافة الغربية فيتنكر لها ويتنكر أيضا لفتياتها فيتزوج بالغربية ـ فرنسية كانت أو ألمانية أو بلجيكية أو هولاندية أو إيطالية

(1) Hans wehr : « arabisches wörterboch für die schriftsprache der gogenwart » (Leipzig 1952)

(2) انظر فى العدد الاخير لمجلة I. B. L. A. مقالا عن هذا الموضوع ٠

أو سويسرية أو أمريكية أو سويدية أو نورفيجية أو دانماركية او روسية · هل للفتاة أن تفكر تفكير هـذا الفتى فتتنكـر هى أيضا للغتهـا وحضـارتها ومجتمعها فتتزوج بالغربى ؟ (I) ·

هل يشعر وهو فى بلاده بأنه غريب لانه لا يتكلم إلا بالعربية العامية ولا يكتب إلا بالفصيحة ، محكوم عليه أن يبقى داخل حدود هذا الـوطن أم هل سيضطر الى هجرة لا عودة بها لأن أبويه شاءا أن يدرساه الفرنسية ؟

ثم هل له أو عليه أن يتجاوز جنسيته ويسعى أن يندمج فى مجتمع أوسع مغربى بحكم الجوار والدم واللغة والدين ، عربى بحكم الدم واللغة والدين ، بحر وسطى بحكم تقارب الثقافات ، إفريقى بحكم الجوار وعوامل أخرى ؟ هل عليه أن يحيى « عصبية » الساميين البرابرة فيدعو الى اخوة عمادها الـدم ؟ هل يرضى عن ذوبان لشخصيته الاساسية فى مجموعة أخرى أقوى ·

هل يظن أنه سيحقق مثالا أعـلى بالحـرب أو بالسلـم ـ وفى نفسـه نـار موقدة ـ فيؤثر فى شباب بلاده ، فى الشباب الغربى ، فى الشباب العربى ، فى الشباب البحر وسطى ، فى الشباب الافريقى ، فى شباب العالم ولم لا ؟

هل يعتقد أن له رسالة تمثل فترة فى تاريخ الانسانية على غرار رسـائل عمالقة الدين والسياسة والفكر ؟ هل تهديمه لصرح ما هو بناء لصرح آخـر قيمه قيم الخير والحقيقة والعدالة والجمال ، أو قيمه قيم أخرى جهد فى إبرازها فثار لها ففرضها على الغير متحديا سلوك الجيل الماضى ؟

إذن هل حقق شخصيته أم سيحققها وكيف ؟ هل سيتبع مثالا شرقيا أو غربيا ، تونسيا أو عربيا إلخ ، هل سيتبع سلوكا لذى ذهن معين أو مهنـة معينة أم سيبتكر سلوكا آخر يصبح لغيره مثالا ؟ هذه الحيـرة هى شـاغلة الشاب فيما أرى كان عاملا أميا أو مثقفا ، منتجا أو مستهلكا ، فى يسر العيش أو فى عسره لان الشاب التونسى يفكر فى القوت والتشغيل ويفكر أيضا فى معطياتهما ، فى المثـال الذى يحتـذى ، بفضـل توعيـة رئيس الجمهـورية والمسؤولين فى الدولة والحزب · ولاجتماعات الشعب ولدور الشعب أثر عظيم فى تكوين شباب واع بصدد التحرر من الجمود الذهنى والركود الحسى والاغفاء الاخلاقى العقائدى وهو بين حالتى الرجاء والخوف : يرجو خيرا من هذه الامثلة العليا التى استنبطتها الدولة ونفذتها فيتحمس لها ويعمل على تحقيقها ضـد ذوى التقاليد (أبويه وبعض من يتعامل معهم) ، ويخاف أنها سوف لا تحقق إلا أنموذجا لا مثالا أعلى ·

(I) يحسن أن يدرس علماء الاجتماع هذا الوضع الآن بتونس ·

ومن عاش سالكا سبيل المثال الاعلى أو سالكا سبيل أنموذج من النمـاذج قاصرا حياته على المادة ـ مبتكرا أو مقلدا ـ غير منشغل بما سواها قليل لأن من كبريات المشاغل بعد الحياة الموت لأن الموت ضمن نزعة البقاء لأن المـوت يكيف الانسان فى دنياه وفى آخرته أو فى دنياه فقط واذا ما « كان الموت » كان التأمل فى قيم أخرى وقد قال أحد علماء النفس : « يبدو أن غريزة الموت قد تداخل الضمير ، أعز وكيل أخلاقى لدى الفرد المتحضر » ٠

وهنا أيضا يجدر بنا أن نقسم شبابنا الى متعلم وغير متعلم فالثانى يفكر فى الموت ، مسلم إسلام التقليد ، يتفق والشباب المتعلم أنه يذكر الشهادة من حين لآخر وأنه يصوم غالبا أما الاركان الثلاثة الاخرى (الصـلاة والزكـاة والحـج) فلا تتماشى والانتاجية فهو إذن فى حل منها ٠ أما الشباب المتعلم فهو على ثلاث طائفات فى أغلب الحالات (١) :

١) طائفة تنكرت لقيم الاسلام ولمحتواه لجهل مؤلم أو لعامل الشك المنهجى ولم ترغب فى البحث عن اليقين جاهرة بأن الاسلام رجعى لا يساير الحضـارة المادية ، فهؤلاء الدهريون لا يقبلون أى حوار وشغلهم الشاغل تحقيق الانسان فى المادة دون سواها والموت انعدام المادة ٠

٢) ثم نذكر فئة من آمن إيمان التقليد متوكلا على الله وعلى الغير راغبا عن فهم أى إصلاح وشغلهم الشـاغل كبت التسـاؤلات وخنـق الحيـرة والمـوت لا بد منه ٠

٣) وطائفة ثالثة أهملت ما فى الاسلام من عبادات ومن معاملات وحاولت أن تبصر بجوهر الاصلاح الحالى وأن تتبع مراحل اجتهاد الرئيس بورقيبة فى النظريات وفى التطبيق : تحـريـر المـرأة ، الـزواج والطـلاق ، الاسـلام والاقتصاد ٠٠ الخ ٠ إن هذه الطائفة مسلمة قلقة قلقا وجوديا خطير الاثر ، تتساءل عن شتى المسائل وترغب فى الايمـان على أسس إصـلاحية عقليـة نقلية ـ فتعليم الدين تعليما آخر من أهم المسائـل الفلسفيـة (الانســان ، العالم ، الدين) ، من مشاغل الشباب الوجودية اليوم ولئن كبتها بعنف وأبى إلا إخفاءها فهو يترقب من المسلمين ومن التونسيين مفكرين مجتهدين ـ وباب الاجتهاد مفتوح ـ الى هداية الضال وإنارة السبيل وهو فى شعاب تناقضات الزمان : تطور تقنى علمى وحضارة وتقاتل بين أجنـاس البشـر اختلفت أو

(١) يحسن أيضا أن يدرس علماء الاجتماع موقف الشبـاب من الاسـلام فى تـونس ٠

ائتلفت ألوانهم أو عقائدهم أو مذاهبهم أو ثقافاتهم ؛ سمو فى الذهن وانحطاط فى الاخلاق ؛ تجاهل لمشاكل الارض من جوع وعراء وموت وغزو للفضاء ولكواكب أخرى ٠٠ الخ ٠ إذن نزال بين المادة والروح يبدو الآن أن للمادة النصر المبين ، إذن نزال بين غرائز الخير وغرائز الشر والانسان بينها حائر خائف من الموت ذهول ٠ فهلا يحسن والحالة تلك أن يلتحق مصلحو الاسلام فى عهد الذرة والصاروخ بمن يسعى لايجاد أخلاق مثلى تكون أساسا سلوك الانسان فى قارته ؟

هلا ينبغى أن يحل الخوف الدينى محل الخوف من الدنيا ، من الانسان ، من التاريخ المادى ؟

مشاغل تقلق (1) فتؤرق وتفسد صفو الحياة وجفاء الموت لكن لنحاول جهدنا فى مجتمعنا أن نشغل أنفسنا بما فيه الخير ولنتساءل هلا نستطيع أن نعين أنفسنا على إيجاد انسجامها ؟ ، هلا نستطيع أن نبحث عن حلول لمشاغلنا ــ ونحن فى مفترق حضارتين نتعامل بثلاث لغات : العامية والفصيحة والفرنسية ــ ؟ بل نستطيع اذا تأملنا مشاغلنا (2) حسب قيم شرقية خمس انهارت فى الغرب وكم يحسن أن نذكره بها لايجاد انسجامه هو الآخر :

1) إن **اندماج الفرد فى المجتمع** أمر لا شك فيه ، ما زال للعائلة كبرت أو صغرت حقوق علينا وواجبات (لا نجد فى تونس اليوم ما سمعته فى باريس عن شاب عامل يتعشى وبمقربة منه أبوه الشيخ يتلوى جوعا صامتا وعندما توسل الأب قوته صرخ الابن : إما أن تأتى بثمن عشائك وإلا مت ؛ كذلك لا نجد سلوك تلك الآنسة السويدية التى استمرت فى استهتارها ليلة ساهرة دون أن تتأثر لنبا احتضار أمها) ٠

ما زال للجماعة حق علينا ولمفهوم الجماعة صدى لمفهوم « الأمة » الاسلامية فى القرون الوسطى ٠ وإذا ما دعا رئيس الجمهورية الى الوحدة القومية ووجد لدعوته أذنا صاغية فلأن للاجماع الاسلامى أثرا فى النفوس ٠

2) إن الشعور **بالفردية** حى عندنا محتضر فى الغرب لأن الغربى يعيش تحت عامل الكم : يعيش دائما لعمل ما ، بعمل ما ، فاذا ما كف عن عمله أو أحيل على المعاش توقفت معادلته الحياتية فأخذته الحيرة فمات ٠ أما نحن فالفرد يتصف بكرامته ، بمروته وإن اندمج فى الجماعة وفى الحاضر ٠

(1) القلق هنا (Angoisse) ٠

(2) لئن كانت دون الحصر عدا فقد ضبطناها بالنسبة لقيمتى الحياة والموت ٠

3) كذلك إن شعورنا **بالماضي العربي الاسلامي** شعور وجودي : نشعـر به حتى في أشد الساعات الحينية امتلاء فنكيف عليه حاضرنا دون سعي الى القطيعة ولو تفتحنا على ثقافات أخرى (I) •

4) إن **زمان** الغرب غير زماننا بالشرق : قطع زمانهم الى ساعات ودقائق وثوان وعاشوا السرعة فدوختهم ، أما زماننا فديمومة ، فاتصال متين في صبر جميل بما حولنا ، فشغل دون حساب •

5) ما زلنا نشعر **بالمطلق** ذاك الذي أهمله ـ أو يكاد ـ الغرب ، ما زلنا اذا وعدنا وفينا، ما زلنا نلتزم « بالكلمة » ، حققت آجلا أو عاجلا •

هذه القيم هي سر حضارتنا ، هي سر نجاح سياسة الاقناع والتجديد في جميع الميادين • والآن ينبغي أن نبسط ذلك السؤال الخطير : كيف يصبح الشاب مواطنا تونسيا فاضلا ومشاغله بعض ما ذكرنا ؟

هذا لا يكون إلا بالحوار مع النفس ومع الغير في الحين عينه ، مع الماضي والحاضر ، هذا لا يكون إلا باجماع القلوب ، بالتعبئة والفناء في الغير لفائدة الأنا والغير معا و « تسلق الجبل » عند الاستاذ احمد بن صالح رمز للحركة الدائمة المفيدة ، هذا لا يكون إلا بالشعور بأننا في صراع لا مع العيش فقط بل في صراع حضاري سيقف عنده التاريخ غدا وقفات طويلة ليدرس مدى مشاركة هذا الشباب في بناء صرح مجتمع سليم ضمن حضارة مثلى •

ونردف ذلك السؤال بآخر : هل يستطيع الشاب أن يعيش بدون الكهل ، بدون عناصر المجتمع الموحدة ؟ هل يستطيع أن يغير الاوضاع كلها المادية منها والروحية منفجرا صاخبا أو مسالما منسجما ؟ هل يستطيع أن يحقق رغبات البطن والذهن والضمير والروح ، هل يستطيع أن يعيش الحياة والموت دون احتياج الى الغير ؟ لا نظن ، إن الشباب يهيىء المشاكل والكهل يشتغل بها يدا في يد مع الشاب الذي قبل التوعية وأبصر الصلاح • إذن هكذا تعدل المشاكل فيبنى المجتمع ولئن كان كل مجتمع نسبيا في قيمه ، نسبيا في حضارته فنحن إذا شغلتنا الحيرة واشتغلنا بكل جد في تحقيق القيم المثلى بنينا مجتمعا عادلا متطورا ، بنينا جمهورية حرة مستقلة مزدهرة وحرصنا على حياتها وحياتها شغلنا الشاغل •

أ• ع•
أستاذ مبرز
بدار المعلمين العليا

(I) وكم يحسن بنا أن نعرف بتاريخنا عن سبيل الوسائل السمعية البصرية•

أغنية من حب قديم

شعر : أحمد القديدى

عرفتك ثرة الاحلام تعتنقين نبل الصمت
كقنديل يضىء معابد الكهان
ويرقد آمنا بين اللظى والزيت ٠

* * *

عرفتك طفلة عيناك تحتضنان لون البحر
وعمق البحر
تحبين انهمار الغيث والاحزان
وتغتسلين بالضوء الذى يهواك كل مساء
كزنبقة خرافية
وترتحلين خلف مجاهل النسيان
لعالمك المشيد فوق سور السحر ٠

* * *

عرفت يديك ناعمتين راقدتين فوق الحصر
كقبرتين من جزر سرابيه
عرفتهما على كتفى ٠٠٠ فى وجهى
تحبان الحوار ٠٠٠ وتبعثان العطر
وتنتشلان هذا الضائع المحزون من منفاه
ومن صدإ الليالى السود ٠٠٠ تنتشلانه من بئر ٠

* * *

كمن تحنو عليه الشمس فى رفق
عرفتك تزرعين النور
وتكتشفين فى الديجور خيط الفجر
وكنت أحب خطوك عندما تمشين

فيخصب من صدى قدميك قلب البور
وتمنح أرضنا التفاح بعد العقر
فيا قدمين من برد ندى طيب كالزهر
عرفتكما فآه ما أحب صباى لكنى أضعت العمر
وأيامى طواحين الهواء
تكسرت والدرب أمسى قفر
فكيف أشيد فى الصحراء هذا الجسر
لأعبره إليك لعلنى ألقاك أشهى من عتيق الخمر
ونرجع عاشقين على رمال الشاطىء المهجور .

* * *

وها أنذا أموت كما يموت النسر
فهل تدرين كيف يموت ؟
فبين الكبرياء وطعنة فى الصدر
يظل يغالب الموت الذى يدمى جناحيه
ليلقى جسمه الوانى ويشعر واهما بالنصر
هناك على الجبال وبين اعشاش النور وعبر عصف الريح
أنا يا حلوة العينين ذاك النسر
أهاض جناحى المفتوح
وعفرنى غبار الدهر
فأين يداك ... أين .. أموت بينهما هنىء الروح .

* * *

فعودى ثرة الاحلام وآعتنقى ظلال الصمت
كقنديل يضىء معابد الكهان
ونامى .... مثله بين اللظى والزيت .

ا. ق.

ديسمبر 68

خواطر حول الادب والفن بالبلاد التونسية في عهد قرطاج

بقلم : محمد فنطر

كلما تحدث المؤرخ عن **قرطاج** تذكر أسطورة طريفة وردت فى نصوص القدماء. أسطورة تصف لنا مجازفة أميرة فينيقية ندعى **عليسة** رحلت عن صور صحبة ثلة من أعيان المدينة وأقبلت على ديارنا وأسست مدينة سمتها **قرط حدشت** أى المدينة الحديثة فقرط حدشت اسم يتركب من عنصرين فينيقيين أولهما قرط ويعنى المدينة ولا شك أن لهذا العنصر علاقة بلفظة **قرية** عندنا . أما العنصر الثانى « حدشت » فهو يوافق لفظة حديثة وتعلمون أن **الثاء العربية** يوافقها الشين فى لغة الكنعانيين . **قرط حدشت** ذلك هو الاسم الفينيقى الذى أسند لمدينة عليسة كما نراه على النقائش ولما أقبل الرومان عليها أدخلوا على اسمها بعض التحريف فقالوا كرتاغو واشتق الفرنسيون من اللفظ اللاتينى اسم **قرطاج** ودخلت هاته الصيغة فى لغة المخاطبة عندنا غير أن بعض المؤرخين التونسيين يقولون **قرطاجنة** إذا ما تحدثوا عن مدينة البونيقيين استنادا الى ما أتى فى بعض الكتب العربية القديمة أجل إنها تسمية عربية قديمة لكن يشوبها بعض الغموض لأن **عبد ملقرط البرقى** ــ قائد بونيقى عاش فى القرن الثالث قبل المسيح ــ أسس مدينة فى الجنوب الشرقى من اسبانيا عرفت عند القدماء باسم **قرطجان** (Carthagène) فقال المؤرخون **قرطاجنة** ومن ذلك نشأ الغموض حتى أن المستمع إذا التقط اسم **قرطاجنة** تراه يتساءل : « أى المدينتين يعنى المتكلم ؟ » فحبا للبيان وتخلصا من الغموض يليق بنا أن نقول **قرطاج** أو **قرطاجة** إذا تحدثنا عن المدينة التونسية ونترك **قرطاجنة** للمدينة الاسبانية .

أسست عليسة **قرطاجة** فى أواخر القرن التاسع قبل المسيح . وكان ذلك لأسباب عديدة مختلفة تعوزنا المصادر لاثباتها وتدقيقها . يعير المؤرخون المعاصرون للخطر الأشورى وزنا ذا قيمة فى تأسيس مدينتنا . عظم شأن **اشور** فى الألف الأولى قبل المسيح . فبعد ما سطا ملوكها على مدن **ما بين النهرين** تمادوا فى سياستهم التوسعية رائدهم السيطرة على الأقطار التى تمتد من ضفاف **دجلة** الى سواحل **البحر المتوسط** وكان للمدن الفنيقية ثروة لفتت

نظرهم الامر الذى جعل الفنيقيين يفكرون فى إبعادها عن أيدى اولائك الجبابرة. فكان ذلك إذن من العوامل التى بعثت **قرطاجة** للوجود وسرعان ما عظمت وقويت شوكتها حتى أصبحت ملكة فى غربى **البحر المتوسط** وانتشرت مصارفها على الشواطىء الافريقية كما بسطت هيمنتها على غربى **صقلية وسردانيا وجزر الباليار** وجنوب **اسبانيا** . ويعترف كل المؤرخين بسلطانها السياسى وازدهارها الاقتصادى لكن غالبهم تراهم يسخطون عليها اذا ما جرهم **الحديث** عن الحضارة البونيقية ويغالون فى سخطهم عليها اذا خاضوا فى ثقافة البونيقيين وأدبهم . تحدث المؤرخ (Gautier) فى كتابه « قرون الظلمات » (Les siècles obscurs) _ عن البونيقيين قائلا : « **كان البونيقيون رجالا مثقفين . عقولهم متفتحة تنطوى على الحذق والذكاء لكنهم لا يشبهوننا فى شىء فما من شىء لفت اهتمامهم وليس غايته مباشرة المنفعة والثراء واللذة والقوة كما كانوا يوجهون اهتمامهم نحو عالم الدين والورع فلم يبدوا اكتراثا بالعلم بل قد يمكنك القول إنهم لم يبتكروا شيئا فى ميادين الصناعة والفن والأدب والتاريخ فقد ظلوا بعيدين عن كل ما يتعلق بفضول الفكر . فلولا بوليب وتيت ليف لما علمنا شيئا عنهم** » .

أما **ستيفان قزال** (Stephane Gsell) وهو من أعظم وأشهر المؤرخين الذين انكبوا على تاريخنا القديم فهو يقول فى حديث له عن **قرطاجة** : « **لم تنشىء الحضارة البونيقية لا علماء ولا شعراء ولا مفكرين . ومهما يكن من أمر فالتاريخ لا يعرف أحدا منهم** » .

ولنستمع الآن الى الاستاذ **جيلبار بيكار** يتحدث على الحضارة البونيقية فى كتابه المسمى **عالم قرطاجة**(Le Monde de Carthage): « **لم تبتكر قرطاجة شيئا لا فى ميادين المعرفة والفن ولا حتى فى الميدان الصناعى** (dans la technique) . **فلا شك أن مساهمتها فى صرح الحضارة الانسانية أضعف من مساهمة الشعوب البدائية كالشعب الغولى مثلا** » . يؤمن الاستاذ **بيكار** بأن القبائل الغولية البدائية كانت مساهمتها فى تشييد صرح الحضارة البشرية أوفر من مساهمة البونيقيين . ترون كيف اتفق ، أو كاد يتفق المؤرخون فى حكمهم على قرطاجة فى ميادين العلم والادب والفن . تلك نظرة الغرب تجاه الحضارة البونيقية وقد نسج على منوالها بعض المؤرخين التونسيين إذ قرأت فى كتاب كثيرا ما يتصفحه المعلمون والتلاميذ خاصة فى المدارس الابتدائية والاعدادية وهو من تأليف مؤرخ تونسى معاصر ، ما يلى : « **الفنيقيون على الاطلاق أمة بحرية تجارية ولهذا لم يشتهروا بحضارة شامخة ولا مدنية فنية كبيرة بل كانت عنايتهم كلها منصرفة الى ما ينمى الثروة والتجارة والصناعة** » .

كل هاته المؤلفات تجعلنا نتساءل ونقول : « هل خلت حقا مدينة عليسة من روح الأدب والثقافة ؟ كيف يكون ذلك والبونيقيون ينتمـون الى أمـة خلقت الكتابة الأبجدية الشيء الذى يسر انتشار المعرفة بعدما كانت وقفا على أقلية • فبفضل الفنيقيين والكتابة الأبجدية اليسيرة خطت البشرية خطى شاسعة فى حقل المعرفة والأدب ولا يخفى أن الحـروف اليونانية والرومـانية والفرنسية وغيرها أخذت جميعها من الحروف الفينيقية فليس من الغريب إذا أن نشك فى الحكم الذى أعرب عنه المؤرخون كما أسلفنا • لذلك أردنـا أن نتنـاول هاته المسألة بالبحث وأردناه بحثا موضوعيا يكتفى باستنطاق المصادر التى تحدثنا عن **قرطـاجة** وحضارتها •

إنه موضوع عسير لم تخف علينا صعوبته الناتجة عن قلة المصادر• تعلمون أن **قرطاجة** قد حطمت نتيجة الحرب البونيقية الثالثة وأضرمت فيها النار وأمر **شمبيـون** بأن تذر حبات الملح فى أرضها حتى يموت ما تنطوى عليه من بـذور الحياة • كان ذلك بعد ما انهال عليها الجنود نهبا وسلبا وعاثوا فيها فسـادا • ثم أقبل الرومان وأبوا إلا أن يشيدوا مدينة رومانية على أنقاض المدينة البونيقية فكانت الطامة الكبرى على **قرطاجة** لأن البقايا التى نجت من فأس الهدام سقطت تحت يد البناء• فبعد النهب والتهديم والحرق ظلت الآثار البونيقية مقطعا يزود الرومان من الحجارة لتشييد معالمهم هذا وقد عفت آثار البنايات الرومانية الاولى وذهبت هى نفسها ضحية حريق شب فى **قرطـاجة** أيام الدولة الانطونينية فى القرن الثانى بعد المسيح وباندثارها اندثرت بقايـا البنايـات البـونيقية التى استخدمت لتشييدهـا • فالى أى مصادر إذن نستنـد لـدراسة الموضـوع ؟ أجل إن المصادر الأثرية ضئيلة لكنها ما انفكت تتعدد كمية وتختلف نوعا •

يحدثنا الأثاث القبرى عن حياة البونيقيين فى المنازل والمصانع فى بطحاء المدينة وساحة الوغى • تجد بالضريح البونيقى كل ما كان يحتاجه الميت قبل موته على وجه البسيطة من أوان وأسلحة ونقود وحلى وغيرها تجدونها معروضة فى متاحفنا القومية • أما نصب التوفات وقد أقيمت ذكرى لقرابين بشرية كان أهل **قرطاجة** يقدمونها الى ربة المدينة **تانيت** والى سيدها **بعل حمون** • نجد على هذه النصب نقـوشا وكتـابة تعـرب فصيحـة عن بعض مظـاهر الحضـارة البونيقية • فلا سبيل لدرس الفن البونيقى دون الرجوع الى صور تحلت بها نصب التوفات كما لا سبيل الى دراسة الحياة الادبية والثقافية دون العودة الى ما صنفه القدماء من **يونان ورومان** • فكثيرا ما جرهم الحديث عن **قرطاجة** وهو حديث يوقفنا على حضارتها • ويجدر أن نذكر منهم **بوليب وديودور الصقـلى وتيت ليف وجستان** (Justin) • تلك هى بايجاز المصادر الاثرية والادبية التى يجب استنطاقها واستقراء ما جاء بها ملمحا لحضارة **الكنعانيين بقرطاجة** •

كشفت الحفريات الغطاء عن أنقاض الحضارة البونيقية وهى أنقاض ضئيلة لاسباب ذكرناها : قوارير بسيطة ، جواهر ، أدوات صناعية ، أسلحة ، أقنعة خزفية كانت أو زجاجية ، تمائم سبكت من حجر أو معدن فى الامكان مشاهدتها فى متاحفنا **بباردو** أو **بقرطاجة** • كيف تبدو هاته الانقاض وعن أى شىء تنم ؟ فلئن تفحصنها رأينا أن **قرطاجة** كانت أبوابها مفتوحة أمام الحضارات الاجنبية كالمصرية واليونانية والاتركسية وغيرها • دخلت عناصر الـزينة المصـرية الفرعونية **قرطاجة** وتحلت بها نصب التوفات حيث نجد عليها القرص المجنح (le disque ailé) وأفاريز الافاعى (Frised'uraie) وقد أسفرت الحفريات التى انجزت **بسوسة** بعد الحرب العالمية الثانية على اكتشاف عمودين من نوع مصرى نجد على كليهما صورة امرأة ضمت هلالا لصدرها وتقلنست مثلما كانت تتقلنس الالهة المصرية هاثور (Hathor) • كل ذلك يثبت تأثر الفن البونيقى بالفن المصرى الفرعونى •

وما من أحد ينكر العناصر اليونانية التى نلمسها فى الفن البونيقى• نجد على نصب التوفات صورا تحكى الاساطين اليونانية دورية كانت أو يونية• كما زخرفت تلك النصب بالدرر والقريصات (Perles et Pirouettes) وهى ولا شك من ميزات الفن اليونانى فاستنادا الى هاته الصور المنقوشة يمكننا الافتراض أن البونيقيين شيدوا معابدهم أحيانا على النمط اليونانى • ويبدو على ضوء بحوث حـديثة أن **قرطاجة** قد فتحت أبوابها لتأثير الحضارة اليونانية خاصة فى القرن الرابع قبل المسيح ويغالى بعضهم ويقول إن الحضارة البونيقية وقتئذ أصبحت حضارة يونانية فى **قرطاجة** • لا شك أن هذه مسألة يجدر بالمؤرخين أن ينظـروا فيها بامعان حتى يقع التعرف الى الاسباب التـاريخية التى جعلت **قرطـاجة** تتأثر بالحضارة اليونانية ويتبين مدى ذلك التأثير فمن المؤرخين من يؤمن بمتانته وعمقه إلا أنى أعتقد أن، تأثير سطحى له علاقة بالظرف دون المظروف أجل لقد اقتبس البونيقيون عناصر من الزينة اليونانية لكن لونـوها بألـوان الـروح البونيقية الصريحة التى تتماشى ونظرتهم تجاه العالم والحياة فكأنى بهم كتبوا نصا بونيقيا بأحرف يونانية• فالصور اليونانية التى نقشوها على النصب مثلا تكن معنى بونيقيا يليق بنا أن نبحث عنه حتى نقف عليه وقد يكون هذا العمل عسيرا لكنه ضرورى لمن شد مئزره سعيا وراء الحقيقة التاريخية الموضوعية •

نلمس إذن خلال الفن البونيقى عناصر اقتبست من عالم الفـراعنة وأخرى أخذوها من سماء اليونان كثيرا ما تراها جنبا لجنب على نصب واحد فى بناء واحد فلنأخذ مثلا ضريح **دقة** وهو يأوى عظام أمير بربرى وقد شيد على نمط بونيقى فى القرن الثانى قبل المسيح تحلى بأساطين يونيه (Colonnes ioniques) وهى من ميزات الهندسة وفن البناء عند اليونان وتحلى الضريح نفسه بعناصر

هندسية مصرية الاصل نذكر منها الحلق المصرى (La gorge égyptienne) تشاهده فوق الاساطين .

واعتمد بعض المؤرخين على وجود هاته العناصر المختلفة فى الفن البونيقى وحكموا أن ليس لابناء عليسة روح فنية إذ اقتبسوا عناصر زينتهم من حضارات عديدة دون أن يحاولوا تفهم ما اقتبسوه لذلك تراهم لا يحسنون النقل ولئن شيدوا ونقشوا على الطراز اليونانى فلن ترى لهياكلهم ونصبهم رشاقة الفن اليونانى وطرافته . تلك نظرية نجدها عند غالب من كتبوا فى تاريخ **قرطاجة** وفنها . تحدث (St Gsell) عن الفن البونيقى قائلا : « **إن الموهبة الفنية التى تكنها روح شعب من الشعوب تبرز فى أبسط الاشياء غير أن هذه تثبت عقم البونيقيين إذ لا يحسنون حتى نقل النماذج اليونانية فهم من هذه الوجهة أدنى من الأتركسيين وكانوا من الناسخين مثلهم** » . أما الاستاذ بيكـار فهو يؤمن بعجز البونيقيين فى الحقل الفنى الى حد جعله يضع هذه القاعدة التى أفصح عنها فى كتابه « عالم قرطاج » بقوله : « **كل شيء ذى قيمة مستورد وكل شيء صنع بقرطاجة يتصف بالرداءة** » . تجدون ذلك فى الصفحة الثامنة والعشرين من الكتاب الآنف الذكر . وفى السنوات الاخيرة أقبل علينا أحد الذين تعاطوا تصنيف الكتب مهنة وتجارة فزار متاحفنا وأخذ منها الصور ثم رحـل لوطنه وألف كتابا سماه « **الفـن بقرطـاجة** » (L'Art à Carthage) . لأن السيد (Max. Pol. Fouchet) توخى طريق الذين سبقوه وغالى فى الحكم على قرطاج حتى أنه لم يتحدث عن الفن البونيقى إذ لا وجود له حسب رأيه فقوله : « **الفن بقرطاجة** » **يعنى الفن الاجنبى** « **يونانيا كان أو مصريا الذى آوته قرطاجة** » .

تلك هى نظرة بعض المؤرخين تجاه الفن البونيقى أى تجاه فـن ينتمى الى تراثنا القومى . يعسر علينا مواكبة هؤلاء المؤرخين لأسباب عـديدة : كيف يمكننا الحكم على الفن البونيقى أو له وقد عفت آثاره أو قل لم يصلنا منه حتى يومنا هذا إلا القليل . ذكرت النصوص القديمة تحفا بونيقية أخذها **شبيـون** غداة انتصاره على **قرطاجة** تحلى بها موكب نظموه **بروما** إجلالا للقائد المنتصر . بلغتنا أصـداء عن تلـك التحف البـونيقية فى كتب **تيت ليف** و (Appien) و (Strabon) و **بلين الاكبر** . وقد شهد هذا الاخير أنه رأى تمثـال الالـه **ملقرط** مطروحا أمام رواق الامم (Portique des Nations) يبدو على ضوء هاته النصوص أن الرومان قد أخذوا ما طـاب لهم من الكنـوز والتحف البـونيقية وحطموا ما عسر نقله أو ما لم يتماش وذوق القيادة الرومانية وقتئذ الامر الذى يفرض علينا ألا نتسرع فى حكمنا على الفن البونيقى ولئن حكمنا وجب علينا أن نفصح عن أحكام افتراضية نسبية ونبتعد كل البعد عن الحكم المطلق ونتجنب

الخطأ الذي ارتكبه فئة من مؤرخي أوربا لأسباب عديدة متباينة شعورية كانت أو لا شعورية •

ولكن فلنتوخ تلك الطريق التي سلكوها ونكتف بما أسفرت عنه الحفريات الأثرية وننظر فيها بامعان ونحكم لها أو عليها بكل تجرد وموضوعية • فما من أحد ينكر تأثير الفن البونيقي بالفنون الاجنبية التي سبقتـه أو عـاصرته • تبدو العناصر المصرية الفرعونية واليونانية جلية في ما سبكته اليد البونيقية ولكن يجدر أن نبرز فيها ما ينتمي الى دنيا البونيقيين والى التـراث السـامي المشاع (Patrimoine semitique commun) نلمسها جلية في أنواط من صلصال طبعت عليها صور عديدة مختلفة اقتبس بضعها من عالم النبات واخرى تحكي صور حيوانات برية أو بحرية كالدجاجة والـديك والسمكـة والـدلفين كما نلمس العناصر البونيقية الاصل في الاقنعة طفلية كانت أو زجـاجية غير أن **ستيفـان قـزال** ينسبها الى اليونان دون أدلة قاطعة فهو يكتفي بتدعيم كلامه قائلا : « **نكون قد ابتعدنا عن الواقعية إذا نسبنا خلق هاته الاشياء الى أناس لم يتركوا لنا أي دليل عن طرافتهم الفنية** » •

أجل إن الآثار البونيقية التي أزيح عنها التراب حتى يومنا هـذا لا تكفينـا مؤونة لدراسة الفن البونيقي دراسة ضافية ولكن ما لدينا يحتـوي على تحف تثبت كيان الفن البونيقي وجدارة البونيقيين بما تنطوي عليها لفظة « **فـن** » • لا أدري كيف يستطيع مؤرخ أن ينطق بأحكام كالتي ذكرها **ستيفـان قـزال وجلبـار بيكـار** وغيرهما إذا ما توقف بعض الوقت على الكنوز متـاحفنا القومية وجواهرها ترمز جميعها الى أناقة الفن البونيقي خاصة إذا كانت الأنـاقة هي الهدف المنشود • كنت أرجو أن أريكم نصبا نقشت عليه نخلة أكمامها دانية وترى بيمين جذعها وشماله غصن حلبة (Le lierre) تكاثرت أوراقها الجميلة وفي هذا الاطار الأنيق رفرف طائران علهمـا يريـدان نقر الحلبـة وأوراقهـا اللطيفة • هكذا فنصبنا تعلوه مسحة كلها خفة ولطف • إنها لصورة بسيطة لكنها ارتدت ثوب الجمال والرشاقة وخفة النقش فيها تتمـاشى وتنسجـم مع لطف الحلبة ورفرفة الطائرين • كيف ننكر وجود روح فنية لدى البونيقيين ونصب النخلة نقشته يد بونيقية • ذكرت لكم مثالا من التحف التي توحي لنا بفن **قرطاجة** والامثلة عديدة في متاحفنا القومية ويعسر علينا أن نتحدث عن جميعها في لمحة وجيزة •

ومما جعل بعض المؤرخين يسخطون على الفن البونيقي تشبعهـم بالحضـارة اليونانية الرومانية حتى أصبحوا يستخدمون مقاييس تلك الحضارة كلما وقفوا على حضارة أخرى لاحظوا أن الفن البونيقي تعدى حدود المقـاييس اليونـانية فتنكروا له ونزلت صواعقهم عليه • نعم اقتبس البونيقيون عناصر مختلفة من

حضارات مختلفة إلا أنهم أبوا أن يقلدوها تقليدا أعمى بل أرادوا استخدامها لخلق فن بونيقى يعبر عن شخصيتهم وخاصيتها فأعطوا لما استعاروه طابعا محليا وكانت طرافتهم فى جمع تلك العناصر المختلفة ووضعها فى قالب بونيقى وخلق تحف بها روح بونيقية تتكلم لغة بونيقية الامر الذى يحتم علينا مخاطبتها بلغة بونيقية إذا أردنا الوقوف على ما تنطوى عليه • خاطبها بعض المؤرخين بلغة يونانية ونظروا فيها من خلال عدسة يونانية فأخطؤوا ولم يروا شيئا • خاطبوا الفن البونيقى بلسان يونانى ونظروا اليه بعين تعودت النظر الى التحف اليونانية وآمنت بكمالها وبوحدانيتها فى الكمال حتى ظلت عاجزة على تذوق فن تعدى حدود الفن اليونانى وعاكس قواعده •

فلم ير الفن البونيقى الاشياء دائما حسب قواعد الطبيعة فهو لا يصف تلك الطبيعة بل هو فن له علاقة متينة بالدين كما هو الحال فى غالب الحضارات العتيقة رائده التعبير عن الشعور الدينى وعن دقات قلب المؤمن • فاذا نحت البونيقى تمثالا فهو لا يريد من وراء ذلك خلق عالم فنى بحت تلك نظرة عصرية لم يتصف بها اليونانيون أنفسهم بل يسعى الى التعبير عن علاقته بربه ومعبوده طالبا منه سعادة الدنيا بتحقيق أمانيه ومتعوذا به من قوات الشر التى تهدد نومه ويقظته واذا مكننا تمثال أو نصب من لمس كل ما يخالج المتعبد من خواطر ومشاعر دينية وحياة داخلية شهد له ذلك بقيمة فنية عظمى وقد قام الفن البونيقى بمهمته هذه أحسن قيام إذ نشعر بحرارة بشرية كلما لمسنا نصبا من نصب التوفات لم ينظر مؤرخو الغرب الى الفن البونيقى من هاته الزاوية فكانت وقفتهم تجاه فن قرطاجة وقفة منحرفة تنم عن الخطا وسوء الفهم ولعلها تنم عن تلك النظرية العنصرية التى نشأت فى القرن الاخير فى عصر تمكنت فيه الاقطار الاروبية من السطو على الشعوب التى تنتمى من حيث الحضارة واللغة الى بنى سام • فتؤمن تلك النظرية بنقص لدى الشعوب السامية والحال أن الحضارة الغربية أو ما يسمونه بالمعجزة اليونانية مدينة الى الحضارة السامية فلئن ولجت المتاحف اليونانية شعرت بوجود الشعوب السامية فيها ولا يتسنى فهم الفن اليونانى العتيق دون الرجوع الى جذوره الشرقية السامية هذا والدور الذى قام به العرب فى الربط بين العالم القديم والعالم الجديد دور عظيم لا يخفى على أحد •

– يتبع –

م• ف•

الحب الاكبر

شعر : على خشارم

دخلت مروعة الفؤاد ، وئيدة الخطو الكئيب
حيرى ٠٠ تبدى حزنها فى لون أجنحة الغروب
قالت : « سمعت اليوم أنك راحل عما قريب
أترى صحيح ما ادعاه البعض يا أغلى حبيب ؟ »

ماذا لو انك يا رفيق العمر فى وطنى بقيت
فأعيش قربك عذبة الأحلام ، جذلى ، ما حييت
فلأنت فارسى الذى من أجله - دهرا - شقيت
قل : سوف تبقى يا حبيب الروح ، ردد : قد رضيت ٠

قد كان عمرى قبل أن ألقاك وهما ، أى وهم
أحيا سجينة وحدتى ، عمياء عن أبناء قومى
حتى برزت لناظرى ، فوجدت فى عينيك حلمى
أيهون قتلى بعد ما أحييتنى ، وأضأت نجمى ؟

ونظرت فى عينين ناعستين هدهما السهر
فرأيت وجدا طاغيا ذكته أنباء السفر
وسرحت مع سحب الدخان تهزنى شتى الفكر
الله ! ما أقسى الحياة ! وما أشده من قدر !

« بيتريس » يا أغرودة الشحرور فى عيد الربيع
بارحت أرضى منذ عهد قاصدا هذى الربوع
متعطشا لمناهل العرفان ، كالطفل الرضيع
لكن ، وإن طال البقاء فخلفه - حتما - رجوع ٠

وطنى هنالك خلف أعماق البحار ، ومنبتى
وأبى الرحيم ، وأمى الثكلى ، وثمة إخوتى

يتساءلون ـ الدهر ـ عني ، عن نهاية غربتي
أمن الوفا نسيانهم ، والكل يرقب عودتي ؟

وطني ، وداري ، والرفاق السمر أبناء القبيله
نقشوا على جدران قلبي حبهم منذ الطفوله
كم عارضوا هذا النوى ، فوعدتهم ألا أطيله
أيخون حر وعده ؟ أيدوس حرمات الفضيله ؟

وطني ، لو انك يا جميلة طفت في أرجائه
لدعوت ربك أن يردك نجمة بسمائه
أو نحلة ، أو نسمة تنساب في خضرائه
وطني ، رياحين الربيع تعب من أجوائه

إن كان لي حب هنا ٠٠ فبتونسي لي ألف حب
كم أزمن قضيتها أزهو وأمرح ضمن صحبي
أبدو سعيدا للجميع ، وغربتي تجتاح قلبي
ولقد أتتني اليوم دعوة موطني ، أفلا ألبي ؟

« بيتريس » هل يرضيك أن تستوطني أرض الصفاء
حيث السلام مخيم ، حيث المحبة والوفاء
فهناك نحيا في جمال حالم لن يوصفا
ماذا ترين ؟ فتمتمت بمرارة : دعني ٠٠ كفى !

وتنهدت ٠ ٠ ثم آنثنت مهمومة تتعثر
وبقيت وحدى في فراغ موحش أتضجر
حتى اختفت ٠٠٠ ولمست من نفسي صدى يتفجر :
دعها ترح ، فمحبة الأوطان منها أكبر ٠ »

ع٠ خ٠

ـ قرقنة ـ

ادب السجون ورسائل بورقيبة

بقلم : محمد الشعبوني

الادب السجنى ادب حافل بالمشاعر الانسانية وصور العاطفة والوجدان ، وسمات الرقة والحنان ، منذ عرف الانسان عوامل الكبت والحرمان ، والمتصفح لشعر الانسانية قديما وحديثا يقف على نماذج من لوحاته الرقيقة وآيات من سوره اللاهبة ، من الاعشى وعدى بن زيد ، والحطيئة ، وعلى بن الجهم الى ابى فراس والمتنبى ، ومن الطغرائى وابن زيدون الى البارودى وشوقى ، والرصافى ، والزهاوى ، والجواهرى ، وبحر العلوم ، والعيسى ، ومن ابن عبد السلام ، والورغى، الى الخضر بن حسين، ومحمود بيرم، وخزنة دار، والجزيرى، ومفدى زكرياء،والمرزوقى،وغيرهم،ولانريد فىهذه العجالة انلم بتاريخ نشأة هذا اللون من الادب الحى الممتع على اختلاف عصوره ، ومستوياته ، واتجاهاته ، وأغراضه ولا ان نطيل الوقوف عند اصحابه الاولين وانما نريد ان نستعرض بايجاز صورا من لهب وجدان بعض هؤلاء ، مكتفين بالاشارة العابرة لنتخلص الى الموضوع الذى اردناه ان يكون محور هذا الحديث وهو ادب الرسائل والوصايا السجنية عند رجل عزيز علينا يحبنا ونحبه ، رجل خلق منا وفينا جبارا معاندا للقوة يكافحها اينما كانت فى غير هوادة حتى انتصر عليها واخذها اخذ عزيز مقتدر وستكون هذه العينات التى نستهل بها حديثنا نافذة تطل على عالم الادب السجنى فنقف قليلا مع الحطيئة يستعطف عمر :

ماذا تقول لافراخ بذى مرج — زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة — فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ومن الحطيئة الى ابى فراس فى سجنه يخاطب سيف الدولة :

يا حسرة ما اكاد احملها — آخرها مزعج واولها
عليلة بالشئام مفردة — بات بايدى العدا معللها
ارحامنا منك لم تقطعها — ولم تزل دائما توصلها
اين المعانى التى عرفت بها — تقولها دائما وتفعلها

ويلتفت ابو فراس الى نفسه فيندفع مرددا :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر — اما للهوى نهى عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندى لوعة — ولكن مثلى لا يذاع له سر

وتدنو حمامة من ابى فراس فيجيبها :

اقول وقد ناحت بقربى حمامة   أيا جارتا لو تسمعين بحالى
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى   ولا خطرت منك الهموم ببالى
أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا   تعالى أقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة   تردد فى جسم يعذب بالى
أيضحك مأسور وتبكى طليقة   ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت أولى منك بالدمع   مقلة ولكن دمعى فى الحوادث غالى

ومن قبل ابى فراس بعث على ابن الجهم الى المسؤولين داليته السجنية ومنها:

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى   حبسى واى مهند لا يغمد
او ما رايت الليث يحمى غيله   كبرا واوباش السباع تردد
والنار فى احجارها مخبوءة   لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والبدر يدركه السرار فتنجلى   ايامه وكانه متجدد
والحبس ما لم تغشه لدنية   تزرى فنعم المنزل المتورد

وقد حرك السجن شاعر القوة والاعتداد ابا الطيب المتنبى فقال فى سجنه :

أمالك رقى ومن شانه   هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء   والموت منى كحبل الوريد
دعوتك لما برانى البلاء   واوهن رجلى ثقل الحديد
وقد كان مشيهما فى النعال   فقد صار مشيهما فى القيود...
فما لك تقبل زور الكلام   وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاذبين   ولا تعبأن بعجل اليهود
وكن فارقا بين دعوى أردت   ودعوى فعلت بشأو بعيد
وفى جود كفيك ما جدت لى   بنفسى ولو كنت اشقى ثمود

هذا هو المتنبى الذى سنراه يقول :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ومن الشرق الى الاندلس ـ حيث نصغى لهذه الابيات من سينية ابن زيدون :

ما على ظنى باس   يجرح الدهر وياسو
ربما اشرف بالمرء   على الآمال يأس
وكذا الحكم اذا ما عز   ناس ذل ناس
ان قسا الدهر فللماء   من الصخر انبجاس
ولئن امسيت محبوسا   فللغيث انحباس
ويفت المسك فى الترب   فيوطا ويداس

ولابن زيدون رسائل نثرية وقصائد شعرية كتبها فى السجن يتعلق موضوعها بالعاطفة والحكمة ، وتتناول قضايا العذال والحساد ، وقد ترق هذه القصائد ، وتبكى المحاجر والقلوب كهذه القطعة التى انشدها الطغرائى فى هذا المضمار متحدثا الى الطبيعة متناجيا مع الطيور مقارنا بين حاله وحال عناصر الكون يقول :

ايكية صدحت شجوا على فننى … فاشعلت ما خبا من نار اجفانى
ناحت وما فقدت الفا ولا فجعت … فذكرتنى اوطارى واوطانى
طليقة من إسار الهم ناعمة … اضحت تجدد وجد الموثق العانى
تشبهت بى فى وجدى وفى طربى … هيهات ما نحن فى الحالين سيان
يا ربة البانة الغناء تحضنها … خضراء تلتف أغصانا باغصان
ان كان نوحك إسعادا لمغترب … ناء عن الأهل ، ممنو بهجران
فقارضينى اذا ما اعتادنى طرب … وجدا بوجد وسلوانا بسلوان
اولا فقصرك حتى استعين بمن … يعنيه شأنى ويأسو كلم أحزانى
كلى الى الغيم اسعادى فان له … دمعا كدمعى وارنانا كارنانى

هذا ويقترن العصر الحديث باسماء لامعة فى سماء الوجدان ، والاغتراب والحنين ، فالبارودى يواصل تغريده فى منفاه بسرنديب ، وشوقى فى الاندلس يحن الى النيل ، والزهاوى والرصافى والجواهرى وبحر العلوم فى مد وجزر مع بغداد ، وابن عبد السلام والمسعودى والخضر ابن الحسين وبيرم وخزنة دار والجزيرى وزكرياء فى أناشيد الصبابة ومناجاة الاهل والاوطان .

يقول البارودى فى منفاه :

اليك يا داعى الاشواق من داعى … اسمعت قلبى وان اخطأت اسماعى
يا حبذا جرعة من ماء محنية … وضجعة فوق برد الرمل بالقاع
ونسمة كشميم الخلد قد حملت … ريا الازاهير من ميث واجراع
يا هل ارانى بذاك الحى مجتمعا … باهل ودى من قومى واشياعى
منازل كنت منها فى بلهنية … ممتعا بين غلمانى واتباعى
لا فى سرنديب خل استعين به … على الهموم اذا هاجت ولا راعى
يظننى من يرانى ضاحكا جذلا … انى خلى وهمى بين اضلاعى
اكف غرب دموعى وهى جارية … خوف الرقيب وقلبى جد ملتاع

ويأتى شوقى بعد البارودى ويتغنى وهو بالاندلس متشوقا لبلاده :

اختلاف النهار والليل ينسى ، … اذكرا لى الصبا وايام انسى
وصفا لى ملاوة من شباب … صورت من تصورات ومس

عطفت كالصبا اللعوب ومرت ... سنة حلوة ولذة خلس
يا ابنة اليم ما أبوك بخيل ... ماله مولعاً بمنع وحبس
أحرام على بلابله الدوح ... حلال للطير من كل جنس
كل دار احق بالاهل الا ... فى خبيث من المذاهب رجس
وطنى لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى اليه فى الخلد نفسى
شهد الله لم يغب عن جفونى ... شخصه ساعة ولم يخل حسى

ــ وندخل ديوان الادب التونسى مع أمير شعرائنا خزنة دار فى رائيته التى يقول فيها :

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى ... حبسى وفوق الراس تاجمفاخرى
زعموا بان لدى خطة ضابط ... ونسوا بان لدى خطة شاعر
لكن خرجت ولى عليهم حسرة ... اذ لم يفز فى القصر غير الغادر
وساكتفى بوظيف شعرى عائشا ... ما بين اقلامى وبين محابرى
هذى الحياة شريفة وتلذ لى ... ولها خلقت وطار فيها طائرى

ويقول فى ميميته السجنية :

ولم يمرر بقلبى طيف جبن ... ولم تجر الدموع على كلامى
يردد فى المحافل صوت شعرى ... وتنصب فى نواديهم خيامى
أجندى ارانى رغم انفى ... واخضع للحكومة بالتزام
وما تلك الوظائف لو نظرتم ... بعين عدالة الا اسام
وهذا السجن تشريف لمثلى ... سادخله على وفق المرام
ولست بفاكر فى ابن صغير ... يحن له الفؤاد على الدوام
وان كان الغياب لدى عنه ... ولو يوماً يعد كألف عام

ــ ويتخذ الشاعر من سجنه انيساً له ومن تونس حبيبة له :

وبت بحب خضراء أنيسا ... وباتت لى المعانى فى ازدحام
وأصغى للجنود وهم نشاوى ... بحبى شاربا كأس الجمام
يودون الولوج ولا سبيل ... الى فيشتكون من الاوام
وهب سكتوا بحكم القهر عنى ... فكم ناب السكوت عن الكلام

ــ ونختم لقاءنا مع خزنة دار بقطعة من هذه اليائية :

سلا تونسا عنى وعنها سلانيا ... انا ما بها ادرى وتعلم ما بيا
سجنا معا فازداد كل صبابة ... وما غاب كل عن اخيه ثوانيا

اعد لنا الحساد بالسجن خلوة ... فزدنا التحاما عندها وتشاكيا
ودارت كؤوس الحب بينى وبينها ... وكان بها مجرى السلافة صافيا
فما كان احلاها لدينا صبابة ... وما كان احلاه لدينا تناجيا
فتحت لها صدرى وقلت تفضلى ... فقالت وهل فارقت يوما مكانيا

ومن خزنة دار الى سجنيات الجزيرى فهذه داليته العاطفية ، وهذه غرائب ما صور فى السجن ، وهذه مناجاة العصفور وغيرها من القصائد التى ضمتها صفحات ديوان الادب التونسى ، ونكتفى من شعره بهذا المشهد الحى مناجيا العصفور :

غناؤك يذكى لهيبا بصدرى ... وما هو الا نواح الاسير
لقد كنت مثلك اذ طال اسرى ... ومثلك كنت اود اطير
وكنت اذا ما نظمت قريضا ... يقولون عنى اسير طروب
وشعرى يفيض من القلب فيضا ... وما الشعر الا دموع القلوب

وهذه أبيات من غرائب سجنه فى قصيده الطويل الشعبى ذى الاسلوب المضحك المثير :

وكان بين القوم شاب مطربش ... أقام الى ان حنكته التجارب
راى ذات يوم ان طربوشه التوى ... واعوزه التجديد والامر واجب
فادخل من جراء ذاك (قميلة) ... لطربوشه كى ما تسوى الجوانب
فقلت وقلبى ضاحك آسف معا ... قوامل قوم عند قوم قوالب
ويوم لتحرير المكاتيب قد اتى ... تصدى به من للكتابة رائم
وقد وزعوا الاقلام جمعا عليهم ... عدا واحد اضحى يرى وهو هائم
ولكنه قد شد بالخيط ريشة ... بمغرفة جاءت يراعا يلائم
فقلتوذاك الخيط حبرا قد ارتوى ... مغارف قوم عند قوم بلائم

وللجزيرى كتابات عن السجن نشر بعضها فى كتاب الجناة للمرحوم زين العابدين السنوسى • أما الشيخ الخضر ابن حسين رحمه الله فمن بلاد الغربة نراه يحن لتونس ولياليها فيقول :

رضيت عن اغتراب اذ لحانى ... فتى لا ينظر الدنيا بعينى
يقول تقيم فى مصر وحيدا ... وقد فقد الانس احدى الموتتين
الا تحدو المطية نحو ارض ... تعيد اليك انس الاسرتين
وعيشا ناعما يدع البقايا ... من الاعمار بيضا كاللجين
وقوم امحضوك النصح أمسوا ... كواكب فى سماء المغربين
احن الى لياليها كصب ... يحن الى ليالى الرقمتين
ومطمح همتى فى ان اراها ... تسامى فى علاها الفرقدين

ومن الشيخ الخضر الى مفدى زكرياء يخاطب السجن فى افريل 1955 :

سيـان عندى مفتـوح ومنغلـق … يا سجن بابك ام شدت به الحلق
ام السيـاط بها الجـلاد يلهبنى … ام خازن النار يكوينى فاصطفق
ياسجن ما انت لا اخشاك تعرفنى … من يحتنق البحر لايحذق به الغرق
انى بلوتك فى ضيق وفى سعة … وذقت كأسك لا حقد ولا حنق
أنام ملء عيونى غبطـة ورضى … على صياصيك لا هـم ولا قلـق
طوع الكرى وأناشيد تهدهدنى … وظلمة الليل تغـرينى فانطلـق
روحى وهبتـك يا روحى فـدا … وطنى زلفى الى الله لا من ولا ملق

ونكتفى بهذه النماذج لنجد انفسنا امام لون آخر من الادب السجنى لم يراع فيه صاحبه الا تلبية نداء الضمير والاعمـاق ، فلم يضعف من اجـل عـاطفة بنوية ، ولم يستخذ فى اوقات الشدة ولم تؤثر فيه المضايقات ولم يلن لقناة الاستعمار وحملاته الفاشلة وهذا اللون من الادب يجسمه رجل من الرجال ، رجل سما بعاطفته النقية ، وتفكيره الاقوم ، وتوصل الى تحرير شعب وبنـاء أمة ، وانشاء منهج ، هذا الرجل الذى وان انفرد برأيه وبقلبـه ، وسمـا فى خطبه وبياناته ، فانه يبـدو رجـلا عظيمـا عند اشتـداد الازمـات ، وتـوالى العواصف ، وهذا قلمه ، وقلبه ، وضميره ، من وراء المنافى والسجون يسجل لتاريخ الانسان اعظم آيات الوفاء والثبات ، ويخلق من مجموعة نفثات قلبه وايمانه صفحات فى كتاب البطولة والصمود ولو جمعت جميع رسائله وطبعت مع ما طبع ، لجسمت فى حياة الثورة الصادقة افضل الوان الوجـد والصبـر والعزم والمثالية الحق للرجل المؤمن بربه ومصير شعبه فى اشـد الظـروف واقساها ٠

ـ يتبـع ـ

م٠ ش٠

على الباب

شعر : الطاهر الهمامي

الى أيام قضيتها فى « سلامبو » الجميلة

— I —

بابان كانا يفتحان على طريق
متقابلان ، وكان يطلع منهما حسناء يرصدها عشيق
ــ فى الباب منساب غريق
ــ فى الباب ترصده ، وفى الشباك ، فى المرآة ما فتئت تريق
أذكى الطيوب على جدائل شعرها
وتذبل الاهداب تذبيلا أنيق .
كانت تطل بذلك الوجه الانيق
متران كانا يفصلان هوى عنيف
لكنما انتصب اللصوص على الطريق
تعب اللصوص وما استراحوا منذ تاريخ سحيق

بابان فى ملقاهما
قلبان يختلجان بالحب العميق
الصيف كان لديهما حلما وضاع
تتوزع النسمات من أفيائه وتلوح أمواج الشعاع
كانا يبحران بلا شراع ...

— II —

لا بد أنك تذكرين
مثلى أنا
لا بد أنك تشعرين

بمرارة العشرين يوما ، بالأسى
يطغى ، وينهمر الحنين
لا بد أنك تخرجين
مع المساء لترسلى نظراتك الحيرى على طول الطريق
على أطل فتهتفى
على أعود مع القطار
تقفين وحدك تنظرين
رسمى هناك على الجدار
ظلى يعود مع النهار ...

ط. ه.
العروسة فى 19 ـ 9 ـ 1968

تنبيه من ادارة « الفكر »

ليكن فى علم قرائنا الكرام أن نـادى الفكـر ـ 13 نهج دار الجلد تونس ـ مفتوح كامل اليوم وأنه يمكن الاتصال :

بـرئيس تحـريـر المجلـة

فى الأوقـات الاداريـة المعلومة وكذلك كل يوم جمعـة من الساعة الرابعة الى السادسة مساء .

خواطر حول اقبال

بقلم : رضا بن رجب

تشكل كل قضية فكرية كائنا حيا ، يخضع كسائر الكائنات الى نواميس النشوء والارتقاء • تبعث الى الوجود وتدفع من حيز القوة الى طور الفعل ، ثم تظل تنمو وتشتد، نسغها الثر طاقة العقل المبدعة الخلاقة ومعينها الذى لا ينضب عبقرية المفكر التى هى ان وجدت رفعت صاحبها الى القمم • عطف أفلاطون على مشكلة القرار والتحول فى الموجودات ، فوقف منها مواقف فكرية خالدة رسمت للفلسفة ، فى مفهومها المتداول ، السبل التى عليها سارت والخطوط الرئيسية التى على ضوئها أهتدت• وأنكب أرسطو على التعدد الطبيعى ومنتحاه الفلسفى• فخط للتفكير الطبيعى اطارا عاما ظل أداة منهجية صالحة حتى عند الطبيعيين فى العصور الحديثة أمثال Darwin و Lamarck • ففى هذا اللقاء الازكى الاسمى بين المفكر العبقرى المبدع والقضية الجوهرية الصميمة تكون أنطلاقة شرارة الخلق ويكمن سر غنم التجديد وفتح مشرق الآفاق ووضائها • وكذلك الشأن بالنسبة لاقبال • عقد العزم على الوقوف على التجربة الدينية ونـوع علاقتها بسائر مستويات التجربة الانسانية • فطالعنا فى هذا المجال بأفكار كأروع ما تكون الافكار وخواطر كأطيب ما تكون الخواطر •

لقد كان مدار تفكير **اقبال** الرئيسى ما يمكن ان نسميه بالحـدث الـدينى (Le phénomène religieux) اذا أردنا أن نسوق اصطلاحا سلك طريقا ملكيا فى علم الاجتماع الحديث• فقد حرص اقبال على استشفاف الحقيقة الدينية من حيث انها ذات طبيعة وتطور ووظيفة ومن حيث انها تشمل تحت فاعليتها مجتمعات وحضارات تؤثر فيها وتضفى عليها صبغتها الروحية • ينظر الانسان حواليه ، فتصادمه حياة يومية رتيبة مملة ويلفحه صراع داروينى قاس من أجل البقاء والاستمرار فى الوجود• فالدين ينزل من روحه آنذاك منزل البرد السلام اذ أنه يدفعه الى تجاوز هذه الرتابة الرتيبة وهذا الصراع الهصور الى نشوة المطلق وغنم القرار • والدين جوهرى نسبة للانسان والفعل ، فالله يشكل مرتكز المطلقات وأساسها الوجودى والمنطقى • فالقيم مظاهر فرعية ثانوية لا نستطيع لمعناها ضبطا ولجوهرها استشفافا الا اذا عشنا حياة دينية أصيلـة • وهنـا يعمد اقبال الى تحليل الحياة الدينية وضبط مستوياتها المتباينة • يمكن أن ننظر الى الدين من ناحية خارجية بحت• فهو فى هذا المضمار جملة من التعاليم

والطقوس والمواقف من الوجود والجماعة يمكن انتقاس وانتسلط عليها مفاهيم علم النفس الجماعي أو علم الاجتماع الديني • فالدين بهذا الاعتبار اداة ضبط أجتماعي تحدد للفرد نوعا من السلوك وترسم له ما تسميه المدرسة الامريكية الحديثة بنية الشخصية La personnalité de base • والدين في مفهوم ثان يمكن أن يكون مغامرة لفهم الوجود وتنسيقه من علاقة المخلوق بالخالق ونسبة الوجود الى العدم وترابط الواحد والمتعدد • فالانسان في هذه المغامرة الفكرية الجريئة الشيقة يريد أن يفهم كل شيء بعقله ومنطقه الاستدلالي • والفلسفة اليونانية ثم من بعدها الفلسفة الاسلامية الكلاسيكية دليلان بينان على هذه الرغبة اللاعجة الملحة الجانحة الى عقل الوجود عقلا منطقيا تحدد فيه المعميات • والدين ثالثا وفي منزلته الارقى اختيار ماورائي يحدد أفقا خاصا للتجربة الوجودية الفردية • وعند هذا الحد من تفكيره يجد **اقبال** نفسه تجاه نوع من التضارب • فهو يلاحظ ان الحقيقة الدينية خفية ميتا فيزكية والحال أننا عادة في تكويننا الفكري لا نرتاح للحقائق التجريبية التي نستطيع ان نخضعها للمراجعة الحسية La vérification expérimentale •

ولكن **اقبالا** سرعان ما يجتاز هذا التضارب عندما يستمر في تمحيص جنس الحقيقة الدينية • فهي في كنهها حصاد تجربة فردية فذة لا يمكن أن تنتظم الجماعات كما تنتظمها البديهيات المنطقية ، ولكن منزلتها هذه لا تبرر نفورنا منها ان نفرنا أو ميلنا الى أن ننزلها منزلة الهواجس الملحة المضجرة أو الاختلالات العصبية المرضية • فوجود أمثال **الغزالي والحلاج** يوقظنا الى نوع العلاقة التي يجب أن تربطنا بالذات • فمعرفة الذات معرفة أصيلة تكون في تفتحنا اليها وتوجهنا بكل كياننا وطاقاتنا نحوها • وهذا الحوار الخصب تجربة حيوية تنصهر فيها كل طاقات الانسان ، عقله وقلبه وروحه • فالحقيقة احساس فردي واستشفاف وجودي يحياها أحيانا الانســان ويؤمن بها الانســان ويؤمن بها أحر الايمان وأقواه من غير أن يفسر موقفه ذلك تفسيرا يقع في الآخرين موقع البديهيات • والانسان في حياته اليومية العادية يحدد الذات تحديدا عمليا لا يمت الى المعرفة الاصيلة بأوهن صلة • فالموجودات تشكل ما يسميه Heidegger عالم الاداة Le monde de l'ustensilité اذ هي تعرف تعريفات عملية تضبط نفعها وضررها نسبة الى المجموع ككل مركب • فموقفنا هذا من الموجودات يجعلنا لا ننفذ الى صميمها، بل نقف عند سطحها ودون أصيل حقيقتها، **فاقبال** يدعونا دعوة حارة ماسة الى تجاوز هذه النظرة الباردة الخارجية لما حولنا حتى ننفذ الى صميم الذات • وهذه المعرفة الوجودية المباشرة التي تذوب فيها جميع عناصر الشخصية ليست ضربا من الجنون أو نوعا من الاستهتار والعبث • فمعناها العميق يظهر لمن أكتملت شخصيته وأشتدت طاقاته ، فأستطاع الارتفاع اليها

والارتواء بما تنزل به على النفس من جليل الاحاسيس وقوى الاندفاعات . والعقل الاستدلالي(La raison démonstrative) له وظيفة في هذه المعرفة اذ أنه يستبين معالمها ويحاول تقريبها من الجماعات البشرية . فهو عبد أمين للتجربة الدينية الاصيلة يعرف جلالها وعلو قدرها ، فيحاول دوما النفاذ اليها وتنزيلها منزلة الحصاد الروحي المشاع بين أفراد المجموعة . ولكن **اقبالا** بالرغم من أنه يؤمن شديد الايمان بهذه الامكانيات الزاخرة للتجربة الوجودية الفردية لا يدعو الانسان الى الانزواء بنفسه ولفظ العالم الخارجي . فهو يرى أن واجب الانسان يتمثل في التفتح للعالم الحسي قصد الاستيلاء عليه واستغلال الامكانيات التي يحملها . **فاقبال** يقف موقفا ثوريا من الطبيعة اذ أنه يدعو صريح الدعوة الى تطويرها وقلب أوضاعها قلبا تجديديا تقدميا . فالانسان عند **اقبال** سيد الطبيعة ومالكها حسب عبارة Descartes وهو يجل العلم والتقنية اذ بهما تقع السيطرة على العالم الحسي . فأنطلاقنا في جو التجربة الدينية والمحيط الروحي يكون بعقلنا عقلا علميا مضبوطا للعالم الحسي وأستنادنا الى تراكيبه وخصائصه .

تطالعنا هذه الخطرات **الاقبالية** ، فتهزنا هزا وتحملنا في نسمات الخشوع والاجلال نحو أجواء فكرية مماثلة عشنا فيها فطاب فيها عيشنا وخلونا بها فلم نتنكر لها ولم تتنكر لنا . نذكر **القديس أوغستان** Saint Augustin وركونه الدائب الى النفس لاستجلاء خفاياها والتطلع الى علاقتها السامية بالخالق ونذكر المفكر الفرنسي الحديث Henri Bergson وأعتباره أن حياة الافراد والجماعات نوعان رئيسيان : حياة جافة متبلدة لحمتها التقليد وقوامها لوك المعاد من الطقوس والاساليب وحياة متفتحة تكون فيها روعة الخلق وتنطلق فيها النفوس دوما الى الامام هازجة في نغم **بروميتي** Prométhéen جليل متصاعد. وأمثالهم كثيرون ممن تذكرنا أهازيجهم بأهازيج **اقبال** فنطرب لهم كما طربنا له ونذوب في أجوائهم الزاخرة الغناء كما ذبنا في سماء تفكيره . وحتى لا يتفرع الحديث ولا يتشعب أردنا أن نركز مقارنتنا على المفكر الدانماركي Soren Kier Kegaard . نتحسس تفكيره ، فنلفي فيه نغمات تشاكل نغمات **اقبال** وموقفا من المشكلة الدينية يشابه موقفه . فالتجربة الدينية لدى Kier Kegaard ليست بالتجربة المباشرة التي يعيشها المرء حال عقله للوجود . فقبل أن يصلها الانسان يمر بطورين وجوديين أساسيين . نعيش أولا ما يسميه Kier Kegaard بالطور الجمالي . ففي هذا الطور نجد انفسنا مجرورين محمولين بقوى الرغبة والشهوة وهذه القوى الكثيرة المتعارضة تحدث لدينا تشتتا وشعورا حادا بالالم واليأس لاننا لا نستطيع ارضاء جميع رغائبنا . ثم ننتقل الى الطور الاخلاقي ، فنتفتح الى القيم السلوكية الاخلاقية . فنحاول أبدا جعل تصرفاتنا العملية تحت نواميس

تقييمية مجردة . ثم نرتفع الى الطور الديني ، فنتخلى عن التفكير الدنيوي ونحصر تجربتنا في اتصال وجودي بالمطلق الاسمي . ويستمر Kier Kegaard في مشكلة الايمان ، فيقف منها موقفا ذا شبه بارز للاذهان بموقف **اقبال** . فالايمان عند الفيلسوف الدانماركي في صميمه قرار وجودي قبل أن يكون نتيجة لعملية فكرية منطقية . فالايمان ينزل من الانسان منزلا حسنا لما يحدثه في جوانب شخصيته من تلاؤم واتحاد وما يضفيه على النفس من نشوة ميتافيزيكية في تعطشها الى القرار الضائع حسب عبارة Ferdinand Alquié والايمان عند Kier Kegaard كما رأينا أيضا بالنسبة **لاقبال** تجربة وجودية فردية تضع الانسان في نسبيته وضعفه أمام الخالق . فالدين حركة دائبة مستمرة ورغبة لا تنثني للعيش في عالم المطلقات . فموته وبواره في تحجره في طقوس وتعاليم فاقدة لنسغ الحياة . فقد ثار Kier Kegaard على التفكير الهيجلي Hegelien الذي كان مسيطرا آنذاك على معاصريه . فقد بلغ Hegel شأوا بعيدا لما كان يحويه تفكيره من مظاهر خلابة . فقد حكم بتناسق تام بديع بين الواقع والقيمة . فالقيمة تتقمص أبدا الواقع مستخدمة العنصر الزماني،وذلك في قفزات جدلية تحدث ما أصطلح على تسميته بالتمزق déchirement ولكن Kier Kegaard ازاء هذا التركيب الهجيلي Hegelien شعر بنوع من الضيق. فهجيل يجعل الوجود الفردي تحت كابوس التراكيب الفكرية المجردة ، وهو يخضع كل الظواهر للمنطق .. فقد كان Kier Kegaard يرى ان الهدف الاصيل هو التوغل في شعاب التجربة الفردية لما تنطوي عليه من جليل المعاني المتجددة وتنامي الدلالات الخفية . وقد تأثر Kier Kegaard في هذا المضمار بالنظرة الرومانسية . فالحركة الرومانسية قبل أن تتبلور في شكل مدرسة أدبية هي أولا موقف كلي شامل من الكون . فمن خصائص هذه النظرة أنها تنزل الكائنات منزلة الكل المترابط الاجزاء ، المستمر في الوجود لما يكتنفه من القوى الحيوية . وفي هذا الكل تتظافر جميع الطاقات وتتآزر . كذلك بالنسبة للانسان ، يجب أن يجمع كل طاقته في مختلف فعالياته ، لا عقله المنطقي فحسب . وهكذا نرى أن كلا من Kier Kegaard **واقبال** جعل من الوجود الفردي مقولة جوهرية تطرح على ضوئها المشكلة الدينية . لاشك أن كلا منهما يؤمن حافز الايمان بحقيقة ميتافيزيكية قارة خلاقة ، ولكن التجربة الانسانية أساسية لاستشفاف هذه الحقيقة ، فهي تضفي عليها لونا خاصا وتنزلها منزلة انسانية . ونلاحظ كذلك أن تفكير Kier Kegaard كتفكير **اقبال** متصاعد يعلو شيئا فشيئا . فالمفكر الدانماركي يجعل الطور الديني آخر الاطوار وأعمقها وأوسعها آفاقا . وكذلك بالنسبة **لاقبال** ، فالمعرفة الدينية عنده أصيلة إذ أنها تنفذ الى صميم الذات ، فهي تتجاوز المعرفة الحسية والمعرفة المنطقية العقلية .

وهكذا ان أردنا اجمال القول حول ما وصل اليه **اقبال** في هـذه المغـامرة الروحية التى كانت مغامرته أمكننا أن نقول انه كان حقا رائدا من رواد التفكير الراقى الاصيل • عرج على التجربة الدينية ، فألقى عليها أضواء متألقة كاشفة ووصلها بما ترتبط به من المظاهر الحيوية الاخرى • فالانسان حسب هـــذه الانارة الاقبالية لا ينفذ الى صميم الذات الا بعد توتر روحى جهيد مرير ••• وعندما يزيد توغلا ووقوفا عند مهد القرار يصيبه الدوار الوجودى الاخاذ لما يطل عليه من واسع الاكوان ويمتلكه من رهيب الاحاسيس • فيصبح حقـــا كما يقول M. Heidegger كائنا مديد الآفاق ومتراميها • تلك هى بنية منزلته وذلك هو جنس قدره •

ر• ر•
استاذ الفلسفة
بمدرسة ترشيح الاساتذة المساعدين

اصلاح أخطاء مطبعية وردت فى الجزء الاول من مقـال « مـاجد ، والشاعرية الحق » ، لابراهيم بن مراد بعدد جانفى 1969 :

ص 47 — س 10 :
تعاطفا وشمولا له = تعاطفا معه وشمولا له

ص 47 — س 27 :
أيا ربى من لى بحس = آه يا ربى ! من لى بحس

ص 50 — س 10 :
تلك المواحل = تلك المراحل

ص 51 — س 7 :
والانانى بعض الاحيان = والانا فى بعض الاحيان

ص 52 — س 19 :
وإذ أخذنا هذه = واذا اخذنا هذه

ص 54 — س 1 :
من ثقيل الحياة = من ثقل الحياة

ص 54 — س 13 :
طال ظله والتد = طال ظله وامتد

ص 59 — س 1 :
وإذا ولى = إذا ولى

ص 59 — س 7 :
خلق الزمان والمكان = خلف الزمان والمكان

أحبهــــــا

شعر : رياض المرزوقي

غـدتْ تُحِــبّ غيْـرِي
أحبُّهـــــــا
أحِـبّ حُبَّهــا لغيــرِي

فمـا تُريدُ مِنْ هـواهـــا؟
هَبـا ، أقـلّ من قليـــلْ
أُريـدُ أنْ أقُـــولْ
أُحِبُّـهـا

الشمسُ أدنَى من بُلوغِ ما تُريـــدْ!
إنْ فرّقَتْ ما بينَنا حُـــدودْ
قلبِي أنا مرآتُهـــا
موتِي أنا حيـاتُهــا
أحبُّهـــا

لوْ قدّم الغيْرُ لَهَا تبْرا نضيـــدْ؟
أكتبُ مِن دمِي قصيـــدْ
يَـراهُ لاعيُونُها بـل قلْبُهـــا
عنوانُـهُ أحبُّهـــا
فإنْ أتَى وقْتُ الفـــراقْ؟
لاشَــوْقَ ، لاعنـــاقْ.
بِبَعْضِ الحُرُوفِ فِي شُعُورِي
فِي مُقْلَتِي ، فِي صَحْوَةِ الضّميــــر
أُحِبُّهَـــا

ر. م.

التعديلات والهياكل

تاليف : الدكتور جان لوى ليفي
تعريب : عبد المجيــد الشــرفي

نوطئة : تجتاح العالم الغربي من حين لحين تيــارات فكرية وفلسفية متينة الصلة بالاوضاع التي تعيشها هذه المجتمعات ٠ فبعد طغيــان الوجودية على جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، أصبحت الهيكلية (Structuralisme) منذ بضـع سنوات أساسا للعديد من الدراسات في ميادين مختلفة ومنهجا للبحث يعتمد في النقد الادبي والدراسات اللغوية وغيرها ، بل و « موضة » يحسن بالمثقف الالمام بمبادئها ٠

وهذه التيارات ـ لمتين صلتها بالمجتمعات التي ظهـرت فيهـا ـ لا تصل العالم العربي عادة إلا محـرفة ناقصـة وبعد أن تتجاوزها الاحداث في منشئها ٠ ولعل اطلاع المثقفين في البـلاد العـربية على الهيكلية واستيعابهم لأصولها ما زال في خطواته الاولى ولم يحـدث بعد خصومات أدبية من نوع الخصومات التي قامت (متأخرة) حول الرومنطيقية أو الوجودية مثلا ، في الوقت الذي أصبحت فيه الهيكلية ذاتها ـ كمذهب ـ محل نقاش ورفض أحيانا في أوروبا (*) ٠

وفي انتظار اليوم الذي يشارك فيه العرب من جديد بقسطه في إثراء التراث الانساني بايجاد مذاهب وتيارات نابعة من محيطه ومن عناصر ثقافته الاصيلة ، لا مناص من أن نواكب تطور الفكر الحي وأن نطلع على ما يكتبه الغربيون من أبحاث طريفة وجريئة ٠ وهذا ما حدا بنا الى تعريب الفصل التالي الصادر بجريدة « لوموند » الباريسية في عددها المؤرخ بالعـاشر من جـويلية 1968 لما له من الاهمية في التقريب بين ميدانين يبـدوان متبـاعدين من أول وهلة وهما علم

(*) ارجع مثلا الى كتاب :
Epistémon : Ces idées qui ont ébranlé la France Paris, Juillet 1968
والى النقاش الذي دار حول الهيكلية بين عدد من المهتمين بها والصادر في جريدة « لوموند » في 30 ـ 11 ـ 1968 تحت عنوان :
Le structuralisme a-t-il été tué par le mouvement de mai ?

الحيـاة والسيـاسة ، وفى تطبيق الظـواهر الحيـوية ـ التعـديل مثلا régulation ـ على الظواهر الاجتماعية عن طريق الهياكل (**) .

ع. ش.

إذا كانت هناك عبرة تستمد من أزمات العالم الغـربى والعالم الشيـوعى أفليست هى ضرورة إقامة هياكل أفقية ودائرية للمجتمع الجديد مقام هياكل المجتمع القديم « العمـوديـة » و « المستقيمـة » ؟ إن هذه العودة الى الوراء بالاخبار نحو المركز وهذه الدورية وهذه « الثورة » (1) من شأنها أن تنشط الهياكل وأن تعيد اليها جزئيا إمكانيات المؤالفة والمطابقة النشيطة التى تختص بها الاجهزة الحية كما تقيها من مفعول التصلب (2) .

وانطلاقا من هذه الشبكة من الهياكل القادرة على التعدل ذاتيا والمستقلة فانه يكون من الجائز جعل الصلات الأفقية والمرور من جهـاز الى آخـر عضوية بدورها . ولا يمكن أن يوجد إصلاح هيكلى دون تنظيم هيكلى مزدوج : دائرى وأفقى ودون تلك الحركة من « الانفتاح » و « الانغلاق » فى آن واحد . وإن

(**) انظر أيضا فصلا آخر للمؤلف ينحو فيه نفس السبيل :
L'état de " privation " de guerre . Le Monde 4 - 12 - 68

(1) استعمل الكاتب لفظة Révolution وهى تدل فى الفرنسية على الدوران وعلى الثورة فى نفس الوقت باعتبار الثورة قلبا للاوضاع وحركة مستمرة (المعرب) .

(2) هذا الاستقرار الذى تمتاز به الاجهزة الحية نسبى ولكى يتوفر لا بد له من :
أ ـ تعديل ذاتى صارم يكون التفتح على الوسط الخارجى بدونه منافيـا للاستقرار .
ب ـ تجديد جزيئى (moléculaire) وخلوى (cellulaire) مثير للدوار : فيحتفظ بالشكل على حساب المحتوى (نحن نشبه مـاء متدفقـا أو لهيب شمعة أكثر مما نشبه حجارة) .
ج ـ مزج وراثى أعجوبى فى نطاق مجموعة معينة من السكـان : فيكون استقرار النوع معوضا باختلاف الافراد .
د ـ عمل متبادل كامل بين الوسط والجسم يمكن أن يـؤدى الى جبـر مجمـوع المورثـات gènes ـ وهى محل المخطط ـ البرنـامج للتولد ـ على إعادة تنظيم نفسها للاستجابة الى توترات الوسط .
إن الاجهزة الحيـة تبـاشر منـذ مـدة طويلة وفى استقرار نسبى « ثورتها المستمرة » بفضل تكوينها (حركة فى خط منحن مغلـق ، حلقات رجعية) والتجديد الدائم لمحتواها ...

إنشاء مسالك للتعديل الذاتي منثنية الى الوراء ليسمح بفتح مسالك للاتصال دون عرقلة استقرار الهياكل ·

وإذا ما استوحت الأنظمة السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية من النماذج العضوية والمديرة (cybernétiques) في انغلاقها على نفسها في نفس الـوقت الذي تنفتح فيه على الوسط المحيط بها وبأن تنتظم انتظاما عضويا فانها قد لا تميل بالتأكيد الى احتذاء الاجهزة الحية أو معادلتها ولكن الى تحقيـق تجليـة الحياة الفريدة : استقرار الاشكال ضمن مد مستمر من التبادل مع الوسط · فلنحلم هنيهة بتلك « الحالات من الاستقرار في نظام منفتح » التي تغزو ··· الميدان السياسي بعد تعمير الطبقة المثالية التي تكونها مجموعة الكائنات الحية حول القشرة الارضية (biosphère) (1) ·

ومع الأسف أن من طبيعة الحكم (أي حكم) ومن طبيعة العلاقات الاجتماعية أن تجعل المفهوم الشديد الخصب « للهيكل » مقصورا على معاني المركزية والمراتب والتوازن الهزيلة ··· فأي تناقض غريب ! إن ذلك إنكار لأبعـاد الهيـاكـل الزمنية : تكوينها وتغيرها وتعدلها الذاتي ، وهو جهل لتركيب الكائنات الحية ونسيان لأن التوازن حركة لاعادة التـوازن · وهو خلط بين « نظـامين » : النظام القائم والانتصار على الفوضى ·

فهل ينبغي التـذكير ، طالما وقـع استعمـال اللفظـة والمفهـوم ، بمعنى الهيكـل وبخصـائصه الاسـاسية الثلاث حسـب السيـد جـان بيـاجي (M. Jean Piaget) (1) ؟ : 1) كونه مجموعا علاقيا (فليس الكل الا حاصلة تلك العلاقات أو التراكيب) · 2) كونه نظاما من التغيرات الزمنية لا « شكلا » ساكنا من الاشكال (كونه دائما وفي آن واحد مهيكلا ومهيكلا) · 3) كونه يعدل نفسه بحركة مستمرة من الاعمال الرجعية والمسبقة (وهو تعديل ذاتي يؤدي الى سلامته وانغلاقه الجزئي · وهل يجب التذكير أيضا بأن المثال الاصلي للهياكل ، أي الجهاز العضوي الحي ، جهاز كامل من التغيرات المعدلة تعـديلا ذاتيـا ؟·

إن وظيفة منع الفوضى وظيفة معدلة إلا اذا شاءت أن تكون بوليسية : فلا نظام بلا تعديل · هل تمثلت الرؤوس السياسية هذه الحقيقة المألوفة منذ مدة

---

(1) انظر جـان بيـاجي « الهيكليـة Jean Piaget : Le structuralisme (مجموعة : ?Que sais je وعلم الحياة والمعرفة Biologie et connaissance (Gallimard)

(2) إن المسلك الوحيد للعمل التعويضي الذي سنته الجمهورية الخامسة (في فرنسا) ـ أي الاستفتاء ـ حقير من هذه الوجهة ·

طويلة عند علماء الحياة ؟ بودنا أن نعتقد ذلك ... ولكن الحقيقة أنه قد حكم علينا دائما بالاهتزازات وبحركات إعادة التـوازن وهى ظـواهر تنتسب الى الظواهر الجيولوجية أكثر من انتسـابها الى الظـواهر الفيزيولوجية . ونظرا لانعدام الحركية الاجتماعية فان الامور تسير كما لو أن الجسـم الاجتمـاعى لا يستطيع أن يرد الفعل إلا بواسطة ردود فعل متوالية منذرة بالخطر مثله فى ذلك مثل الكائن المشرف على الهلاك . ودون مسالك للعمل التعويضى كافية من حيث العدد فان الامور تسيـر كما لو أن الجسـم الاجتمـاعى لا تكون فيه « حركة الحياة » إلا تحت تأثير هزات وصدمات لها من الشدة ما يجعل تماسكه ذاته محل نظر (1) : فكل خلية وكل نسيج وكل عضو وكل جهاز يرد الفعل لفائدته الذاتية فى اختلال قاتل . وقد قال ابن سينـا وهو ينـازع المـوت : « إن المنسق الاعظم الذى كان ينسق جسمى لم يعد ينسق شيئا » .

والقطيعة التى أحدثها الحقوقيون بين علم الحياة والسيـاسة قطيعة مفتعلة لا سيما وأن المهندس « طبيعة » ومهندس القوى الاجتماعية يجـدان نفسهمـا مواجهين لمشكلة من نفس الشكل وهى : كيف يخلق الاستقرار (النسبى) مما هو غير مستقر ؟ إنه لمشكل ساحر أوجدت له الطبيعة أجوبة لا تعد ولم توجد له الأنظمة السياسية الى حد الآن لا جوابا تقريبيا ولا جوابا صالحا . إن الطبيعة ، والحق يقال ، لم تبدأ قط بالتساؤل عن لـون أجنحـة الفـراشة أو صورتها ! وإنما انتقت فى تأن طوال آلاف السنين المباحث البيو ـ كيميائية والتركيبية والوظيفية الكبرى ـ 12 فى الجملة ـ التى نجحت .

هل يعنى هذا أنه لا توجد البتة هوة بين « الهياكل القوية » التى تمتاز بها الحياة و « الهياكل الضعيفة » التى تتسم بها السياسة ، بين تماسك الجهـاز العضوى الكامل وانقطاع النسيج الاجتماعى ؟ لا بالتأكيد . وهل يعنى ذلك أنه يكفى الانحناء لاغتراف « نماذج » جاهزة من البركة العضوية ؟ لا بالطبع . ولكن المنهج القياسى لم يرفض لمجرد أن علماء الاجتماع أساؤوا استعماله أو استعملوه لتبرير مبادئهم الاكيدة التى لا يحتاج تحقيقها الى الاختبار (a priori)! إن علم الحياة يمنح لمن يريد أن يسمعه حصادا مدهشـا من الصيـغ المنظمـة والمبادىء المعدلة والمسالك التطورية التى أفضت الى نتيجة . وأحسن من هذا ، فهو فى الالتباس الحالى بين الآراء السياسية وفى غموض السيـرة السياسية

---

(1) ان المسلك الوحيد للعمل التعويضى الذى سنته الجمهورية الخامسة (فى فرنسا) ـ اى الاستفتاء ـ حقير من هذه الوجهة .

الفاجع معدل للتفكير لا مثيل له · ولعله الوحيد ··· ومهما تكن فى المستقبل العلاقات الاجتماعية والعلاقات بين الدول فان على مشيدى المجتمعات أن يأخذوا بعين الاعتبار النماذج العضوية والنماذج المديرة التى يجدونها تحت أعينهم · فالثورة السياسية التى تغفل عن سن ثورة الهياكل « المنطقيــة » تحكم على نفسها ، عاجلا أو آجلا ، بمواصلة العمل بنظام بوليسى ·

وبين الاحتفاظ بأجهزة عتيقة الى أن تقضى عليها وطأة الاحداث أو الرجال أو الافكار وبين تشييد أجهزة طوبائية ـ متجنبة « معابر » التطور أو متجاوزة لها ـ لم يقم الدليل على أنه لا مكان البتة لتعديل المجتمعات : لفائدة نظام حى لا لفائدة نظام بوليسى ·

ولعل المسألة العويصة ، المسألة المفتقرة الى جـواب والتى تحجب الافـق السياسى هى هذه : هل إن الاستقلال الذهنى لكل انسان عقبة جـذرية فى وجه تعديل المجتمعات ؟

ع· ش·

وداعا أيها الماضى ....

قصة بقلم : على الشملى

جاءت الى رصيف المحطة معه لتودعه وظلت واقفة لا تتحرك ولا تتكلم حين استل يده من يديها برفق وبطء وامواج الدموع البـاردة تنقلب الى شبح ابتسامة ذابلة على شفتيها الرقيقتين ... ومضى ملتفتا يتأملها فى شبه كآبة يحاول اطفاءها فى ابتسامة ذاوية ...

وارتفع هدير القطار وتواصلت بها الافكار وعلمت حينما ارتفع صفيره أن ذهابه سيكون فاصلا بينها وبين الزمن الذى سيلقى بها الى حيث كانت مع السذاجة ...

وحينما كان القطار يتحرك ببطء ظل رفيقها العائد الى ارضه يتطلع اليها من النافذة فلا يرى غير يديها الرقيقتين تتراقص فى اضطراب مبعثرة اشاراتها من حيث لا تشعر ...

واغمضت عينيها لتصرف حلمها الوديع مع رحيل القطار بعيدا عنها الى حيث لا تعلم بالضبط ... وخيم السكون المبهم على الرصيف فضاعت مع اوهامها وذكرياتها واستبد بها الشوق منذ هذه اللحظات الاولى فشعرت بأن ابتعاده سينتزعها من زمن الوضوح ليلقى بها الى رحاب الغموض المبهم ...

عاشت لاحلامها طوال الطـريق التى قطعتهـا الى البيت لكنهـا سرعان ما استجابت لنداء اعماقها المتعطشة وسلخت قلمها من منبته لتخط اليه كلمات ترسلها له من الغد ولكن سرعان ما استولى عليها شعور غريب حين تذكرت انها تجهل مقامه ولا تذكر الا صورته وكلماته فالقت بالقلم الى حيث لا تعلم وسط الغرفة التى انتشر فيها ضباب من الخوف والقلـق والحيـرة ، وحلقت نظراتها الى الافق من وراء زجاج النافذة وعانقت افكارها المدى الضائع فتمنت لو تستطيع اختراق حجب المجهول لتضم العالم كله بنظرة واحدة وتراه ولو لمحظة واحدة .. وحالت دون رغبة نظرها حجب المجهول واقنعـة اللامحدود فانهارت مع ذاتها وشعورها بان هناك وراء الافق البعيد وجودا آخر لا تعرفه ولا تسمع عنه ... وتثور لانها تريد وكم تريد أن تكون لنفسها ... وحتى لذلك الذى تجهل حقيقته والذى فصله عنها الزمن على رصيف المحطة ...

وعادت بها الى الذكريات أوهامها التائهة عندما كانت هناك ضائعة فى تجربة جديدة قادتها الى احد مقاعد نزل ـ اسبلاناد ـ الفخمة وهى شاخصة فى رقصات المحتفلين بتوديع سنة لاستقبال اخرى وسط عالم من جمال الازهار الاصطناعية حين دخل وصافحته بنظراتها ، وأطال نظره فيها وانامله ما انفكت تعبث بشعره المنسق الجميل ... وتجاهلته وظلت تحارب الزمن بمفردها وسط هذا الضجيج الجميل ، ولكنها شعرت بأن عليها أن تحارب بغير صمتها وتجاهلها نظرات هذا الذى استأذنها فى الجلوس الى جانبها بعد ما وجد المقاعد محتلة ... وسمحت له متظاهرة باللامبالاة ، وعلمت أن صمتها سيكون ضعفا لها أمام اسئلته المتواضعة فخافت أن تذهب ضحية كلماتها ولكنها فضلت أن تحارب الصمت والزمن ووجوده بخواطرها وعقلها ... وتفطن الى نفحة الاعجاب بالموسيقى الهادئة ترقص فى عينيها وفى ابتساماتها الخافتة وتلاقت عيناها فى غير قصد وأحست انها تناست حيرتها للحظة طويلة من الزمن ... وفكرت فى أن تكون مثل كل الذين فى هذا الحفل السنوى يمرحون ويملأون الزمن الفارغ بالحقائق الجمالية الرائعة وامتلكتها الرغبة فى الحديث معه حين شعرت بأنه يردد عبارات اعجابه بلغة تفهمها . ولكنها قليلا ما تستعملها لانها كانت ثانوية بالنسبة لها أيام دراستها التى لم توفر لها سوى فرصة للعمل فى احدى المؤسسات الاجتماعية ... فتلونت مع افكارها ولم تدر كم طالت المدة التى كانت كافية لربط قلبها ووجودها بوجوده .. سألته اسئلة مبعثرة وأجابها اجابات منسقة فحدثها عن ثورة الحضارة فى بلاده وعن المجد الموسيقى فيها وتطور الرقص فى محافلها الفنية ، وسجدت بشعورها الى كلماته فاذا بها تحدثه فى غير شعور كامل عن حياة بلادها ... عن حياتها ...

وتواصلت السمفونيات تمتد الى رحاب العقول والقلوب وفى غير شعور منه كانت يده تمتد الى أناملها فاحتضنتها واحست ـ لاول مرة ـ بقشعريرة هادئة تسرى فى مداها ... وترعرع فيها هذا الاحساس نحوه ولكنها واجهته بصمتها حين اختلطت نظراتها بنظراته ...

« سوسن » هو كل ما قالته له حين سألها عن اسمها ، و « جاك » هو كل ما قاله لها حين سألته عن اسمه ...

ظلت الالحان تنساب شجية ، والدقائق تتساقط فى اتزان منتظم وبدأت لحظات زمن المستقبل تتماوج مع الزمن الحاضر فى حشرجته الصامتة ... وتلتقى مرة اخرى نظراتها ترافقهما هذه المرة ابتسامة وادعة فتحس بأنها اصبحت بلا جسد وبأنه غمر وجودها بصفقة من الاحلام الهادئة ...

ويصل اللحن اليها هذه المرة ثائرا فتصمت وهى تحس بأنها تريد الاندفاع لتكون اجابتها عن دعوته لها للرقص ضمة طويلة وهمسة ضائعة لا تموت الا على حدود الشفاه ، لكنها اكتفت بالنظر اليه طويلا مشيرة ـ لا ـ بابتسامة خافتة ... فمسك يدها ودعاها بعينيه الى مرافقته فى جولة على شاطىء البحر القريب ... ولم تشعر كيف اخترقت الى جانبه صفوف المتراقصين ولا كيف القت بها طاعتها الى مرافقته خارج الضجيج ، وعبثا حاولت أن تكذب ظنها وبأنه اصبح فى حياتها فاحست برهبة غزت كيانها فألقت بصفحة وجهها الهادىء الحزين ولمعت عيناها تحت اضواء الاشعة القمرية الساحرة وارتسمت على جبينها ظلال الغصون الناعمة ... وتوقف يرنو الى لمعان عينيها ويسوى باصابعه خصلاتها المتراقصة فى هدوء ونظام رائعين ، وشعر بما فى جمالها العربى من روعة خالصة وبما فى اسمرار بشرتها من جاذبية ساحرة وبما فى نظراتها من نداء الى اطفاء تعطشها واخماد ثورة شهوتها ...

وضاعا معا فى لهفة الشفاه ولم تدعه يسلخ عنها وجودها الجديد ولا يحرمها من تجربتها الناشئة لانها علمت انها اخترقت حدود حياتها القلقة ...

وتوقف الزمن القديم عن السير ومع انبعاث اللحظات الاولى من العام الجديد رفعت اجفانها اليه وتلاقت مرة أخرى نظراتهما واشتبكت احلامهما ...

وعلم حينما اطالت نظرها اليه بأنها تريد أن تعرف قصده البعيد فكان لها ان ارضعت بصدرها وعينيها النجوم عندما اشعرها بأنه يعلم أن وجودها معه سيتحدى ضياء القمر ولمعان النجوم ويغمر الكون نوره العبقرى ...

واغرقت وجودها معه فى المواعيد وساعات التلاقى التى تجددت وتكاثرت..

واخبرته ذات ليلة بأنها اصبحت تخاف من حبها له لانه سيجعلها تقدس فيه مبدأ دينه وترضخ لمشيئة عقيدته ... ويمضى الى جانبها فى وجوم يحدق فى السماء التى جاء من اجل شمسها وقمرها الوديع ...

وهنالك على الشاطىء الذى وصفه لها بانه فتنة الخضراء حتى فى الشتاء كانا يسيران متشابكى الايدى تائهى الخطوات ودعته الى الجلوس على صخرة كانت هناك تحرس البحر منذ آلاف السنين وعليها كانت تتحطم الامواج دون أن تفنى منذ آلاف القرون ...

ويحرق السكون لهفتها ويدفعها الى السؤال فيكون جوابه عن سؤالها رغبة البقاء اكثر ولكنه يأسف لكونه عابرا فى هذه الربوع ... وترجو ولكنها كانت لا محالة شاعرة بأن رجاءها لا يفيد .. ويتأملها هائما معجبا فى حين تضيع

نظراتها الساحرة فى عينيه وتحيط بذراعها الرقيق خصره النحيل ۰۰۰ ويرق اليها ثم يترك مكانه من الصخرة ويجر قدميه على الرمال راسما اشكالا غريبة غير واضحة ثم يتمتم شبه حائر : ولكنى غدا سأمضى ۰۰۰ وتقفز من الصخرة لتضيع بين ذراعيه وهاجة العينين حائرة الظنون ثم تحنى رأسها على كتفه ضاغطة يديها على صدره متمتمة : اهكذا بهذه السـرعة وهـل تعـود ۰۰۰ ومتى ۰۰۰ سيول من الاسئلة تتدفق من عقلها دون نظام ولكنه ضمها قلقـا وقال : سأعود يوما ما ربما القاك على هذه الصخرة ۰۰۰

وأدمن دمعها حين اعلمها بأنه سيكون فى محطة القطار غدا ۰۰۰ وعلمت انها لا تستطيع الوقوف فى طريقه ما دام لا يملك نفس مميزاتها الوجـودية والدينية ۰۰۰ واكتفت باعلامه ان اللحظات التى التقيا فيها ستظل خالدة فى فراغ العمر وامتلائه ۰۰۰

وتأجج شوقها صبيحة الغد حين كانت فى طريقها الى المحطة وعلمت حينما كانت تودعه على الرصيف أن فترة حبها له لا يمكن ان تخلد مثل النجوم التى احبها وغازلها طويلا ۰۰۰

وضربت حافة الشرفة بيدها ثم فتحت عينيها وتفطنت الى انهـا ضـاعت طويلا مع الذكريات هائمة بالافق المتناهى ۰۰۰ راجية أن تتحدى حجب المجهول لتحتضن ما وراء الحدود ، ولكنها تشعر بأنها لا تستطيع أن تراه الا فى خيالها الرحب ۰۰ وهو على الصخرة وعلى الرمال وعلى رصيف المحطة وهو يدس برفق شيئا صغيرا فى حقيبتها تفطنت اليه الآن فقط بعد جولتها مع هذه الذكريات ، فاذا هو رسالة أخذتها بسرعة جنونية واحتضنت محتواها مقطبة جبينها ۰۰۰ وكمن اصيبت بنوبة غير طبيعية اندفعت فى قهقهة طويلة ساخرة من نفسها مرددة ــ خديعة هذه اذن ۰۰۰ خطيبته فى انتظاره على الرصيف الآخر ۰۰۰ يرفض اشعارى بهذا كأن لى لعه حسابا ۰۰۰ « مسكينة انا والله ۰۰۰ بـل سعيدة أنا لانى لم أقع فريسة الا لشفتيه ۰۰ ليديه » ۰

ومزقت الورقة ، وحاولت ان تقنع نفسها بأنها اسعد مخلوقة لانها عاشت تجربة حبها مع انسان اجنبى استقبلته معجبة ورافقتـه معجبـة وعليهـا أن تودعه معجبة لانه لم يحاول مطلقا أن يفقدها خصائص انوثتها ولا أن يعيش معها لحظة الجنون الطائش ۰۰۰ واحتقرت سلوكها ولكنها قررت أن لا تترك نفسها اسيرة الماضى ولا الذكريات لانها تريد ان تكون للحياة بما فيها من ظروف وما تحتوى عليه من مغامرات كانت هذه واحدة منها بالنسبة لها ۰۰۰

ع۰ ش۰
المنستيـر

ماجد والشاعرية الحق (*)

بقلم : إبراهيم بن مراد

— II —

أثر « الصدق » في تجربتـــه الشعريـــة :

تلك هي العناصر التي تكونت منها شاعرية جعفر ماجد في ديوان « نجوم على الطريق » (**) • وتلك هي الابعاد والالوان والخطوط التي تكونت منها تلك العناصر ، في كل من تجربته الجماعية وتجربته الفردية • ولكن ما هي الخصائص الفنية لتلك الشاعرية ؟

ليس من العسير استجلاؤها • فانت عندما تأخذ الديوان يثير فيك عنوانه بعض الذكريات والرسوم لمؤلفات أخرى ••• فذلك « كرم على درب » لميخائيل نعيمة • وتلك « شموع على الطريق » لمحمد الصباغ ••• ولكن الفرق بين كرم نعيمة وشموع الصباغ ونجوم ماجد ، هو أن تلك يستضاء بها ويسترشد ، فهي هادية ، « هادفة » ، فينتفع بها • أما هذه النجوم الشقراء فتضم ، وتشم ، وتلثم ••• إذ أنها تسحر بارتعاشاتها ، وخفقاتها ••• وهكذا تعرف من أول وهلة أنك في عالم من الجمال تحملك صوره ورسومه الى عالم سحري ينعصر في شرايينك عذوبة أنغام وروعة صور ••• ويقوم أمامك حينئذ الفرق بين ما يسمى « نافعا » وما يدعى « جميلا » • فالفرق بين هذه النجوم المرتعشة الخافقة ، وتلك الشموع والكروم المنتصبة على الطريق « باردة » ، هو الفرق بين النافع والجميل •

(*) راجع الفكر ـ العدد 4 ـ جانفي 1969 ـ السنة 14 •

(**) عندما أذكر أن عنوان الديوان الجديد الذى سيطبعه جعفر ماجد هو « سنة 2001 » ـ وقد سمعت ذلك منه في برنامج تلفزيوني ـ أشعر بخيبة تهدد مصير هذا الامل • فقد ذكر الشاعر أن هذا الديوان ـ كما يوحي بذلك عنوانه ـ ستكون قصائده مكتوبة لانسان الغد ـ كما هي مكتوبة لانسان اليوم ـ فهو حلقة من الحوار بين الشاعر والاجيال • فهذا الديوان ، الذى لا ينبىء عن تواضع ، والذى نأمل من الشاعر أن يغير تسميته ، إذ أحرى بها أن تكون لكتاب علمي ، أو مسرحية هزلية ، إذ لا يجد فيها المتذوق ما يجده من عذوبة وجمال في « نجوم على الطريق » مثلا ، هذا الديوان لا يبشر بان الشاعر سيحل لنا المشكلة ، وأنه سيجلو لنا ذاته جلاء يتيح لنا تبين ملامحه • وستبدى لنا الأيام •••

الكلمة النافعة ، أو الطيبة (L'utile) تمتد لك يانعة لتهتدى بها سراجـا ينير لك سبيلك فى ديجور الحياة • فهى كلمة هـادفة • أما الكلمة الجميلة ، وليدة كون من الجمال (Le Beau) فتغمرك سحرا وبهارا ، وتفتح عينيك على وجه الله : جمال فى جمال ! والصراع بين هاتين الكلمتين محتد منذ زمـن طويل • واذا كان عنوان ديوان ماجد ينبىء بانه من أنصار « الكلمة الجميلة » • فهل يدعم ذلك محتواه ؟

إن أبرز ما يميز جعفر ماجد فى ديوانه هو ما ذكره الاستاذ محمد مـزالى ـمقدم الديوان ـ : « **واذا كان من حقك على جعفر ماجد أن تحبه أو أن تكرهه ، أن تقبل على شعره أو أن تدبر عنه ، فان من حقه عليك أن تعترف له بالصدق فى الانفعال ، بالصدق فى التعبير ، بالصدق فى الرأى ، بالصدق فى الرؤيا • والشعر صدق وأصالة قبل أن يكون صناعة وفنا** » (31) • ذلك ما اتفقنا عليه عند حديثنا عن تجربة جعفر • ولكن هذا الصدق يتفـاوت لـديه : فهو فى تجربته الفردية أوفر منه فىالتجربة الجماعية • وذلك لان الشاعر انما عبر عن تجربته بصدق فلم يخادع نفسه ولم يكسها بطلاء العالم الخارجى ••• إذن فلا بد ان يكون منطويا على ذاته عاكفا عليها فى عالم خاص لا ينفذ اليه الآخرون ولا يرتبط بالعالم الخارجى إلا بمقدار ، ولكن ذلك لا يمنع من أن يحمل العالم فى قلبه ••• وتلك الانطوائية التى يحتمها صدق التجربة الفردية ، تحتم على الشاعر أيضا أن يكون ذاتيا • واذا تحققت الذاتية فى شعره فلن يكون عندئذ ذلك الشعر « مرآة » تعكس العالم الخارجى • بل يكون صورة لما عبرنا عنه من قبل بـ « حلم » الشاعر ، الذى يبرز الى العالم الخارجى فى تعبير الشاعر عن تجربته ، إذ تختمر هذه التجربة عبر ذات الشاعر ، فى « بؤرة » يمتزج فيها الشعور بالمخزون اللاشعورى ، ويندمج الـوعى بالـلاوعى ، ويلتقى الحـدس الشعرى بظلال الواقع ، فيتولد الحلم ، ويكون الشاعر صورته الشعرية نسفا لفكرة كامنة فى أعماق تلك البؤرة ••• فتكون الصورة الشعرية بذلك رمزا لما فى ذات الشاعر من عوالم جمالية باطنية •

هذه الحقائق التى أقرها علم النفس ، تعتبر قيودا حتمية للشاعر فى عمله الفنى ، وهو اما ان يكون « حالما » صادق التجربة ، فيبرز للعـالم الخـارجى كلمات « جميلة » أو أن يكون فارضا نفسه على الشعر ، مرآة تعكس العـالم الخارجى ، كالحاكى ، فيكون مبتور التجربة ، من شعراء الـزيف ، يـوزع على

(31) مقدمة « نجوم ••• » ـ ص 9 ـ بقلم : الاستاذ محمد مزالى •

الناس كلماته « الطيبة » (*) التى تكون كشحن « فيتامين تزيد شحم الناس ولحمهم » ، ويكون ذلك الشاعر « كمصلحة للتعاونيات تمون الناس بالفحم ، والزيت ، والدواء ، ولا تهتم إلا بمعد الجمهور ، وجهازه الهضمى » (32) ···

* * *

كل تلك الملاحظات الأولية تبين لنا الحتمية التى فرضت على جعفر ماجد أن يحبذ هذا الاتجاه الذى سنتبينه فى هذه « النجوم » ·

ولعله من الأجدى لنا ، قبل أن نقتحم هذا العالم الجمالى ، أن نزيح من طريقنا بعض « النجوم » التى نراها فى هذه المجموعة خابية اللمعان ، باهتة اللون ، وما من سبب لخباء لمعانها وبهتة لونها إلا أنها لا تعبر عن « حلم » الشاعر ، فهى لا تعبر عن صدق تجربته ، وإن عبرت عنه فالى حد ما · وجل هذه القصائد بالطبع هى وليدة تجربته الجماعية ، غير أن تجربته الفردية أيضا قد حوت بعض القصائد التى أسرع بها الشاعر الى النور ولما تختمر بعد فى « البؤرة » الى « الدرجة » الكافية · واذا قصدنا التحرى والدقة ، كان علينا أن نشير الى جل القصائد التى حوتها « الصفحات القيروانية » و « مذكرات فى السياسة والمجتمع » ـ ما عدا قصيدة : « فى صقلية » ، ففيها من الصدق ما يجعل وجودها بين هذه « المذكرات » قلقا ـ ثم قصائد له أخرى مثل : « الربيع » و « غيوم » و « هدايا الورد » ، فانها حشرت بين المجموعة « المتلألئة» حشرا ـ ·

واذا سرحنا البصر فى هذا العالم الصحوى الذى تتلألأ فيه بقية النجوم ، تسارعت الى أذهاننا هذه الكلمات : « مهمة القصيدة كمهمة الفراشة ··· هذه تضع على فم الزهرة دفعة واحدة جميع ما جنته من عطر ورحيق ، منتقلة بين الجبل والحقل والسياج ··· وتلك ـ أى القصيدة ـ تفرغ **فى قلب القارىء**

(*) وهناك مرحلة ثالثة ، لم يبلغها لحد الآن إلا القليل النادر فى بعض القصائد ، وهى مرحلة تنفرج فيها الذاتية على موضوعية تؤكد إحساس الشاعر بما حواليه بصورة أعمق ، وذلك عندما تكون دنيا المكان والزمان فى عالمه الباطنى الى الاندكاك والانتفاء ، وعندئذ تكون كلمات الشاعر « جميلة » و « طيبة » فى آن واحد · وفى قصيدة « طفل على الشاطىء » لجعفر ماجد (الفكر ـ س 14 ـ ع 1 ـ اكتوبر 1968 ـ ص 20) ملامح لهذه المرحلة ···

(32) نزار قبانى ـ الشعر قنديل أخضر ـ ص 118/119 ـ ط 2 ـ المكتب التجارى ببيروت 1964 ·

شحنة من الطاقة الروحية تحتوى على جميع أجـزاء النفس ، وتنتظم الحيـاة كلها » (33) • وذلك هو بالضبط ما تمثله هذه المجمـوعة من القصائد ، فهى فراشات محومة هائمة تنقل العبير من زهـرة الى زهـرة ، وهى « كهربـات جمالية » تسرى فى قلوبنا وشراييننا وأجسادنا ، لأن الشاعر عندما « تكلم » فقد أفصح لنا عن الكنوز الجمالية الهاجعة فى بواطن نفسه ••• وعندئذ ، لا يعسر علينا أن نتبين اتجاه الشاعر • فأنفاس « الفن للفن » ولمسات أصابعه بادية آثارها على كل بيت من هذه القصائد • فجعفر من المؤمنين بهذا القانون القديم : (Rien que le Vrai et le Beau, tout ce qui est utile est laid) « ليس هناك غير الصادق والجميل ، فكل نافع قبيح » • فالشاعر فى نظره ، مثلما هو فى نظر نزار قبانى : « **نحلة حبلى بألف قطرة سكر ، نحلة يتخمر فى احشائها السكر ، ولا يمكن للنحلة ولا للشاعر أن يهربا من هذا الجـدول السكرى ، من غدد الجمال المخبوءة فيهمـا ••• وإلا قتلهما عطـرهما** » (34) والشعر لديه ، مثلما هو لدى نزار : « **الشعر إفراز جمالى ، نزيف حـروف ونجوم ونيسانات تتوالد من شق ريشة • وهو بعد هذا وجه الله مرسوم على بياض ورقة •••** » (34) •

ذلك ما تتبينه من خلال هذه المجموعة المنتخبة من قصائد الديوان • فجعفر لم يسع الى هذا الاتجاه سعيا ، ولكنه اراد أن يكون صادقا ففرض عليه هـذا الاتجاه نفسه فرضا ، حاملا معه « فروضا » أخرى أخـذت محلهـا من نفس الشاعر ومن تجربته الشعرية • وهـذه « الفـروض » تتجـلى واضحـة فى « الشكـل » أو « القـالب » الشعرى لقصائد جعفر • فاذا كان جيل الشعراء العرب الجدد ــ الأحداث ــ قد عاشوا ويعيشون فترة من الذبذبات بين « شكل حديث » و « شكل قديم » للقصيدة الشعرية ، نتيجة بعض النسائم التى هبت عليهم من الغرب ، فان شاعرية جعفر ، مثلما أنها لم تعرف لمسات أدباء غربيين مثل نيتشة وكامو وكافكا وكولن ولسون وسارتر وإيليوت ، فانها كذلك لم تتفاعل بما اختمر فى تفكير الجيل الجديد من الشعراء « الاحداث » من ضرورة تبديل القديم بالجديد • لقد شعر جيل الشعـراء المحـدثين ــ جيـل ما بعد الخمسين من هذا القرن ــ بوطأة الرتابة الروتينية التى تحـدثها المـوسيقى الشعرية التقليدية فى أنفسهم ، وذلك نتيجة احتكـاكهم بثقافـات أخـرى وفلسفات جمالية أخرى ، ولدت وتعيش فى بيئات أخرى • ووجدوا أنفسهم فى حاجة الى التخفيف على أنفسهم واراحة ظهـورهم مما أنقضهـا ، فكـانت

---

(33) نزار قبانى ــ مقدمة ديوان « طفولة نهد » ــ ص ه •
(34) نزار قبانى ــ الشعر قنديل أخضر ــ ص 76 •

تجاربهم التي حققت لحد الآن من النجاح ما لا يجحد أو يغمط ـ في الشعر الحر أو المرسل ٠ أما جعفر ماجد فلم يكن احتكاكه بالثقافة الغربية احتكاك المتأثر المقلد ـ وذلك ما نلمسه في المضمون الشعري لقصائده ـ ولكنه احتكاك المتطلع التواق إلى آفاق أخرى من المعرفة ٠ وهو لذلك بقي مخلصا للتراث الذي أخذه عن أجداده والزاد الذي زودته به القيروان ، ذلك أن ما أخذه من الزاد « الخارجي » لم يمتد الى الاعماق التي امتد اليها ما تزود به منذ صغره ، لذلك كان ما أخذه من الثقافة الغربية ، وقد تكونت له ملامح الشخصية الادبية ، عامل تدعيم وتمتين لتلك الشخصية وليس عامل تهديم لما كسب من أثر عميق ، في نفسه ، وراثة عن أجيال سالفة تعاقبت على أرض القيروان :

« أنا بذرة في ثراك الخصيب — رضعت بثدييك سحر البيان ،
« أنا ما قرأت على (هوميروس) — ولم أشتر الحبر من (أصفهان)
« ولكن هنا حفيت قدماي — وذقت من العز مثل الهوان
« غشيت الكتاتيب عند الصباح — وتحت العصى حفظت المثاني » (35)

ذلك الاخلاص ، أو ذلك الصدق في التجربة الشعورية تجاه الارض التي أنبتته ، ذلك الصدق الذي انشأته فيه طبيعة تكوينية في بيئة خاصة ، هو الذي جعل ـ في رأيي ـ قصائد في ديوانه ، مثل « غلاتيه » و « غيوم » و « هيروشيما » و « لا تعودي » ضعيفة شكلا ومضمونا ، بسيطة في صورها الشعرية ، باهتة في ألوانها الشعورية ، يسودها التكلف في أغلب الاحيان ٠ ولو كان الشاعر قد أرجأ كتابة مثل هذه القصائد الى الفترة التي كتب فيها « الملاح » و « الخطايا » لكان أجدى له وأخلد لتلك القصائد المسكينة ، إذ أن تجربة الشاعر في هذه الفترة أصبحت أعمق جذورا وأبعد امتدادا في العالم الانساني ، فلم يبق خاضعا لهيمنة « البيئة الاولى » على نفسه ، بقدسيتها ، كما كانت تهيمن عليه من قبل ٠٠٠ وبذلك أصبح صدق تجربته الانسانية ، وشعوره بشمول انسانيته ذا مفعول على تجربته الشعرية ٠ واعتقادي أن ماجد لو كتب في هذه الفترة قصائد حرة ، لكانت في مستوى « الملاح » و « الخطايا » أو لفاقتهما ٠٠٠

ولكنه ، على كل حال ، لم يفلح في تلك القصائد الاولى ، الحرة الضعيفة ٠ ولو أنه كتبها على طريقته الاولى ، الخاضعة للهندسة القديمة للقصيدة الشعرية العربية ، لما ضاره ذلك شيئا ، ولما قيل عنه إنه لم يكتب شعرا حرا ! ! بل إن الدارس النزيه ليكبر فيه صدقه ، في عمله الشعري ، شكلا ومضمونا ٠

---

(35) « نجوم ٠٠٠ » ـ ص 24/23 ٠

أجل ! إن الشاعر يكون صادقا أيضا فى الشكل الذى يضع فيه قصائده : وذلك أن اللغة التى يعبر بها الشاعر تشكيل زمانى مكانى فى آن واحد ، إذ أن اللفظ الذى يستعمله وحدة نغمية ذات دلالة مكانية • والتشكيل الزمانى للقصيدة يتمثل فى كل ما يتصل بالاطار الموسيقى (36) والشاعر الصادق عندما يكتب فى وزن ما ، فانما يترجم حالة نفسية شعورية فى توقيعات نغمية تناسب ما يتموج فى نفسه من شعور واحساس • فهو يقدم للمتلقى صورة صادقة لوجدانه فى حالة نفسية خاصة ، فى شكل موسيقى مناسب لتلك الحالة • أما التشكيل المكانى للقصيدة فيتمثل فى محاولة الشاعر ايجاد توافق وتناسق بين عالمه الباطنى والعالم الخارجى من خلال ذلك « التوقيع الموسيقى » ، إذ تبرز الأفكار (Les Idées) متقمصة عالم الاشياء الواقعية ، بعد أن كانت مختفية فى عالم « اللاواقع » • والشاعر عندما يصف « الواقع » أو يتحدث عن عالم الاشياء ، فانما يضفى عليهما مشاعره • فهو إذن « يشكل صورا » • وذلك التشكيل يمثل « **نسقا خاصا للمكان لم يكن له من قبل ، تماما كالنسق الزمانى (الموسيقى) الخاص الذى صنع به الصورة الصوتية للقصيدة** » (37) • وبذلك نتبين أن الصورة الشعرية فى القصيدة نفسية ذاتية وليست موضوعية ، فهى تمثل « المكان النفسى » ولا تمثل « المكان المقيس » •••

تلك هى علاقة الشكل الفنى للقصيدة بصدق التجربة التى يعبر عنها الشاعر • فصدق التجربة التى يعبر عنها يفرض عليه الكتابة على طريقة معينة وشكل معين • وذلك هو السبب الذى أراه معقولا لتعليل نجاح قصائد جعفر ماجد المبنية على الهندسة القديمة ، وفشل قصائده الحرة التى ذكرتها • فالتشكيل الزمانى والتشكيل المكانى للقصيدة جد وثيقين بحالات الشاعر النفسية ، والموروث الشعورى ، والمحصول التراثى لجعفر ماجد ، يجعلانه بلا شك مرتبطا ارتباطا وثيقا بحالات نفسية معينة ، نستجلى ملامحها من حبه العميق لبلاده ، ذات المجد العريق ، التى يذكر الشاعر بنفسه أن أثرها عليه كان أكبر من أثر أى عامل آخر • فهو إذن بحكم طبعه ميال الى القديم • ونحن نتبين ذلك فى الديوان دون أن نجد عسرا ، سواء عندما ننظر الى اللغة التى يستعملها غالبا ، أو عندما ننظر الى الناصر البلاغية التى توفرت فى شعره • فهو يقول مثلا :

« **ولى وحى وتنزيل ، ألا كم هجت من حس !** » (38)

(36) انظر : التفسير النفسى للادب • عز الدين اسماعيل ـ الفصل الاول من الباب الثانى •

(37) نفس المصدر ـ ص 66 •

(38) « نجوم ••• » ـ ص 21 •

أو يقــول :

« بــلادى عــدتــك عــوادى الزمــان ولا خــانــك الفــوز يــوم الرهــان ،
« ••• فكم فاخرت (صبرة) (بصرة) بنثر (على) وشعر (ابن هانى) » (39)

أو يقــول :

« وشــرع الحب تضحيــــة وبــــذل ومن ذا لم يكن من عاشقيها ؟ » (40)

وتتجلى متانة الاسلوب وثراء اللغة والنزعة القديمة الى استعمال الالفــاظ والتراكيب التى أصبحنا فى غنى عنها ، إذ تجاوزها الذوق الحديث ، يتجــلى كل ذلك فى قصيد : « شعرها حرير » :

« عينــاك مــن قبس أم فيهمــا قبس يغفو الحــرير عــلى جنبيــه والفلس •
«••• ماذا ؟ أما احتضنت عيناى فاتنة ألــم تنهنــه شفــاه قبلهــا لغــس ؟
« أمــا خلعــت غــلالات معطــرة يـــ رف فيها صريعى اللاهث الشكس؟ (41)

ولكن ، مما يجب الاعتراف به أيضا ، هو أن هذه « المسحة القديمة » المتجلية فى « نجوم على الطريق » قد أضفت على الديوان ميزة ـ اذا تغاضينا عن بعض الهنات طبعا ـ قلما توفرت فى مجموعة شعرية من شعرائنا المعاصرين • وهى متانة المحتوى اللغوى ، وخلو الاسلوب من الهفوات الشكلية • والكلمة الاخيرة التى تقال فى صاحب الديوان هى أنه شاعر • وما أقل الذين يصدق وصفهم بهذا النعت ! وهو شاعر عندما يفرض الشعر عليه نفسه ، ـ وقد توفر له ذلك فى تجربته الفردية ـ وليس عندما يفرض نفسه على الشعر ، كما حاول ذلك فى تجربته الجماعية ، وخــاصة فى « مذكــراته » • أما الديوان ، فلولا وجود بعض التراكيب التى لا يقبلها ذوق العصر ، ولولا وجود « التقريرية » فى بعض قصائده ، ولولا وجود « مذكرات فى السياسة والمجتمع » ضمنه ، لكان ممتازا حقا ، شكلا ومضمونا •

إ• م•

اكتوبر 1968 ـ صلامبو ـ
طالب بكلية الاداب

(39) « نجوم ••• » ـ ص 23 •
(40) « نجوم ••• » ـ ص 34 •
(41) « نجوم ••• » ـ ص 129 •

محبـــــوبة

شعر : عبد الرحمان الكبلوطي

الاهداء : الى الآنسة « ف. ر. » أقدم هذا القصيد

(1)

وذات مساء ...
خرجت أجول فى بلدى
وأبحث عن رياض الزهر والورد
وعن وجه صبوح مشرق الطلعه
يخيب أمامه المصباح والشمعه
وعن عطر يغذى القلب فواح ...
خرجت أجول فى بلدى
كمــلاح
رضى البال مرتاح

* * *

(2)

... وذات مساء
خرجت أجول يا صحبى
يقود مسيرتى قلبى
الى حى من الأحياء فى أعماقه غاده
من الشباك ترمقنى ...
تذكرنى بولاده
وأسألها عن الاسم
فتبسم لى ،
وتبحث لى عن القلم
لتكتب لى

على ورق من الورد
وتلقى لى بما كتبت
كرمى النبل والسهم
فأقرأ خطها وحدى :
« أسمى عند كل الأهل محبوبه »
فأهتف ملء صوتى : أنت أعجوبه !

* * *

(3)

وكل مساء ...
ظللت أجول فى البلد
لأنشق ريحة الورد
وأقطف ثمرة الخد
وأرقب ــ عندها ــ جدى :
فتبسم لى ...
فيفضحنى لدى محبوبتى خجلى
وأدعوها مع الشفق ،
وعند الليل ، فى الغسق :
« تعالى وأجلسى قربى
لينعم بالهوى قلبى »
فتذكر لى بصوت الكبت محبوبه :
« أنا أحيا طوال العمر محجوبه ! »

ع. ك.

القيروان ــ فى 12 جويلية 1968

ندوة القرّاء

المغالطة

بقلم : عز الدين المدني

> **« أول ما عليه تعتمد ، وإياه تعتقد ، ألا تستعجل باستحسان ولا باستقباح ، ولا باستبراد ولا باستملاح ، حتى تنعم النظر وتستخدم الفكر » ٠**
>
> **ابن شرف القيرواني**

* * *

قرأت بعناية مقال : « **الانسان الصفر ٠٠٠ خيال وإلحاد ٠٠٠** » الذى كتبه السيد على الشملى فى العدد الاخير من مجلة الفكر الغراء ، نقدا بل انتقادا للجزء الاول من قصتى « **الانسان الصفر** » التى نشرت فى نفس المجلة (عدد ديسمبر 1968) ٠

أقول بادىء ذى بدء ان ردى هذا لا يمكن له أن يعتبر تهجما على السيد على الشملى ولا تبريرا للعمل الادبى الذى قمت به ، ولا ضربا من الفرار من المسؤولية ٠ إنما هو زيادة في التوضيح ، ومحاولة لربط الحوار بينى وبين من كتب نقدا او انتقادا بصفة نزيهة بعيدة عن كل مراوغة وختل ومغالطة ، ورفع للالتباس فى المفاهيم الادبية والفنية حتى يستقيم التأويل ، ويتم الفهم على الوجه الصحيح السليم ٠

وأريد هنا أن أوضح أن السيد على الشملى قد أخطأ فى الفهم فجاء تأويله خاطئا مما أدى ــ عن قصد أو بدونه ــ الى اتهامى بأمور لا علاقة لى بها ٠٠٠

واعتقد فى هذا الصدد ان السيد على الشملى قد وقع فى أخطاء جمة منها :

1) انه لا يميز بين « **التجربة القصصية** » و « **القصة التجريبية** » ٠ وليس هذا كما يعتقد البعض بالامور الشكلية ٠ بل من المفاهيم الاساسية فى الفن القصصى والروائى الحديث ٠ وهذان المفهومان مختلفان متباينان ٠ ذلك ان كل

كاتب قصصي يقوم بتجربة قصصية (وكلمة تجربة تعطى معنى المحاولة والمعاناة والتحمل) بينما ليس كل كاتب قصصي يكتب قصة تجريبية ، لأن التجربة فى هذا المعنى هى فتح دروب جديدة من التعبير وادراك تام بالادوات القصصية المستعملة ، وتعمق للمضامين المشحونة فى القصة ، واختبار للشكل والاساليب والنماذج الشخصية .

وللتجربة القصصية معنى القيمة الادبية المطلقة ، فكاتبها يعدها من الاشياء التامة التى تقبل النقد ، بينما القصة التجريبية تعطى قيمة أدبية نسبية ، إذ ان كاتبها على وعى بأن قصته ستكون مادة للنقاش فى كل المستويات .

والتجربة القصصية لا تهتم بالقارىء بينما القصة التجريبية تستدعى انتباهه ويقظته ووعيه وعونه على حل المشاكل من مختلف الزوايا .

والاولى أعدها حاليا من الاعمال الادبية الجاهزة على الرغم مما فيها من التواضع اذ يقول صاحبها : « **إنـي أحـاول** » و « **إنـي أجـرب** » ولذا كانت التجربة القصصية لا تقبل المراجعة وإعادة التحرير وعجن الشكل والمضمون والاساليب من جديد ، بينما القصة التجريبية عمل أدبى متواضع لا يكون تاما إلا اذا شارك فيه القارىء بالنقاش وربما باعادة الكتابة والتحرير والتحوير والزيادة والنقصان .

وبايجاز فان التجربة القصصية انغلاق ، انغلاق الكاتب على قضاياه الادبية وعالمه الفكرى وكونه الثقافى ، بينما القصة التجريبية تفتح على القارىء تفتح مباشر يثير فيه صدمة فنية ، وحيرة خلاقة ، ونداء الى العمل المبتكر المثمر .

اذن فالتجربة القصصية هى عبارة عن همزة قطع اما القصة التجريبية فهى همزة وصل .

وهاك امثلة من الادب الروائى والقصصى العالمى :

من التجربة القصصية : « عودة الروح » للحكيم و « الاب غوريو » لبلزاك و « البؤساء » لهوڤو و « الاخوة كارامازوف » لدستيفسكى و « رينى » لشاتو بريان و « دون كيخوتة » لسفنتتيس و « برق الليل » للبشير خريف و « للورد جيم » لكونراد و « راعى النجوم » للدوعاجى الخ ...

من القصة او الرواية التجريبية : « القضية » و « القصر » و « فى البحث عن الزمان الضائع » و « أوليسيس » و « الصخب والعنف » و فى « المتاهة » و « مادام بوفارى » و « راشومون » و « الحائد » و « الطريق » (فى مجموعة

القنطرة هى الحياة) و « صحن كفتاجي بالعظمة » لمحمود التونسى والقصص الاخيرة لسمير العيادى ومحمود بلعيد .. الخ ...

والفارق الجذرى بين المجموعة الاولى والمجموعة الثانية ان الاولى مقننة ، خاضعة لقواعد جمالية معلومة معروفة ثابتة معترف بها ، وان الثانية ناشزة ، باحثة عن قواعد جمالية ، ومختبرة لأساليب وأشكال شتى ومجربة لمضامين عدة .

2) الانسان الصفر ليست كما يعتقد السيد علي الشملي « **دعوة جريئة الى الانحراف والالحاد** » بل هى صورة قصصية ولا مقالية لرجل يبحث عن نفسه فى سجنه الذهنى واللغوى والزمانى والدنيوى فلم يستطع التخلص منه . وكانت الاحرف الغليظة فى المونتاج المطبعى صورا لتلك الصرخات التى يطلقها الرجل فى سجنه والتى لم تجده نفعا . فهو اذن يدعو الناس الى الشفقة عليه والرأفة به . وهذا المعنى الاساسى يخالف ما ذهب اليه السيد على الشملي من تأويل خاطىء ...

3) لا يميز السيد على الشملي بين الكاتب وبين الشخصية القصصية . اذ يقول : « **كان (على الكاتب) ان يبحث له عن طريق ينمى بها لديه الوازع الدينى** » .

فهذا الكلام غير صحيح فى النقد الادبى . فانى أسأله هل « أحدب نوتردام » هو فيكتور هيقو ؟ هل « ك » هو كافكا فى « القضية » ؟ هل « مرسيل » هو « مرسيل بروست » فى « البحث عن الزمان الضائع » أين هو نجيب محفوظ فى « زقاق المدق » ؟ أين يحيى حقى فى « قنديل أم هاشم » ؟ أين « موريك » فى « تريز دسكيرو » ؟ هل « فلوبير » هو « مادام بوفارى » كما يقول ؟ هل آلان ادغاربو هو « الغراب » كما يحلل ذلك علماء تحليل النفس ؟ هل « ستاندال » هو « جوليان سورال » ؟

اذا كانت الشخصية القصصية الرئيسية « ناطقة رسمية » باسم المؤلف ، فسوف يكون تأليفه بدون شك من لون « الاعترفات » أما الرواية أو القصة فلا .

ولو تعمق السيد على الشملي هذا الفارق بين المؤلف وبين شخصيته الرئيسية لأدرك بدون شك الخطأ الذى وقع فيه ولما غالط كثيرا القراء ... وليدرس السيد على الشملي هذه المفاهيم الادبية القصصية حتى لا يقع فى مثل هذا الخطأ فى المستقبل اذا اراد ان يكون ناقدا قصصيا حقا مسؤولا ...

4) قال السيد على الشملى : « وإن ما ننكره هو ان الآية الكريمة التى تعيش فى أعماقنا يجعل منها الكاتب مادة يزيفها رجل قد يكون لا ذنب له ما دام لا يفهم ما يقول ، ولا يقصد الاساءة ما دام يحاول إخفاء افلاسه وعجزه فى تلاعيبه اللفظية » • هذا التأكيد — التزييف — غير صحيح • **ذلك ان هذا الرجل الذى حكم عليه الكاتب بالصفر نائم لم يستفق الا مع الفجر قد نادتـه اعمـاقه الى الوعى الصحيح بكلمات مشرقة (الآيات) فلم ينتبه وظل يجتر احلامه المزعجة وليله المهموم ورقاده الدائخ واوهامه المضنية • صحيح « لا ذنب له » لانه ليس بمدرك لما يقول لانه فى حالة نوم ، صحيح « انه لا يفهم ما يقول » لانه يحلم • صحيح « انه لا يقصد الاساءة » الى أحد ولا الى الدين لانه فى حـالة لا واعية • « وانه يحاول اخفاء افلاسه وعجزه فى تلاعيبه اللفظية » هـذا غير صحيح • لان هذيانه عبارة عن لا وعيه الحالك الدامس اما النداء فكان مشرقا ناصعا • الدليل على ذلك ان الآية الكريمة تقرأ بيسر وما بعدها ظلام فى ظلام لا يقرأ • فكان النص القصصى تجسيما لهذه الادلة وتصويرا حرفيا مطبعيا لها » •**

لكن لا يفوتنى ان انبه القارىء الى ان السيد عـلى الشمـلى قد أشكل عليه النص والفهم والتمييز على الرغم من الملاحظة التى كتبها المؤلف لبيان ذلك فى آخر الصفحة الاولى من القصة التجريبية •

كما لا يفوتنى ان انبه القارىء الى أن السيد عـلى الشمـلى تارة يخلط بين الكاتب وشخصيته القصصية وطورا يفصل بينهما • وهذا تناقض سببه ماذا ؟

5) لم يبرز السيد على الشملى الاداة القصصية التجريبية التى استخدمتها • وهى المصطلح عليها « **بتيار اللاوعى** » (Monologue intérieur) •

وكان الاحرى به أن يفعل ذلك اذ هو تصـدى لنقـد أو (لانتقـاد) قصة تجريبية • وما ينجر عن استخدام هذه الاداة فى اللغة والاسلـوب والصـور والذكرى وسبر النفس وتحليل الشخصية واستكشاف المجهول وابراز العقد والمركبات •••

لو كان السيد على الشملى ناقدا مسؤولا حقا لما وقع فى الاخطاء السابقة •

فليطالع السيد على الشملى فى هذا الشأن ما كتبه مبتدع « تيار اللاوعى » « دوجردان » Dujardin لينمى به ثقافته النقدية الادبية •

6) « **الفن للفن** » هذا كلام لا معنى له قد راج فى أوساطنا الادبية أيما رواج وهو لا يستند الى مفهوم مركز مدعم بل هو ضرب من التهمة والشبهة • ذلك ان كل من يكتب قصة أو شعرا أو مسرحية فى بلادنا تنزع شيئا ما الى التجربة والبحث يتهم بخدمة ركاب « الفن للفن » • لكن هل هناك من كتب فى تاريخ الحضارة قصة أو شعرا أو مسرحية من أجل « الفن للفن » ؟ لا أظـن ذلك •

حتى ان أصحاب « البرناس » كانوا يعبرون عن مجتمعهم وعصرهم بشكل يخالف « الملتزمين » الذين يعالجون القضايا الاجتماعية والنفسانية لعصرهم ومجتمعهم · لكن كانوا يعبرون تعبيرا على اية حال !···

7) **العقيدة :** هم الكاتب هو الاجتهاد فى مجال القصة التى يرى فيها النوع الادبى الوحيد الذى يعبر اصدق التعبير ويصور أصفى التصوير قضايا عصرنا ومجتمعنا ، ولم يفعل ذلك على حساب « العقيدة المقدسة » كما أكد السيد على الشملى (وهذا لون من مغالطته) بل اعتمد اللغة العربية فى قصته التجريبية· واعلم ان الكاتب يعرف التمييز – بدون غرور ولا مركب – بين « **اللغة** » و « **العقيدة** » · فلو كان يريد النيل من العقيدة لكتب مقالا لا قصة تجريبية · والفارق بين هذين النوعين الادبيين واضح جلى يدركه من مارس الخلق وباشر النوعين وانتج الصنفين · ولا أشك فى ان السيد على الشملى قد عانى المقال والقصة على الاقل ·

8) « **القوالب المستعارة** » ما دام السيد على الشملى يتحدث بلغة التجار والقمارق فانى أذكره – وهو عليم – بأن القصة فى مفهومها الحديث فن دخيل على الادب العربى ، اى انه مستورد · وان الادوات القصصية : « تيار اللاوعى » و « الفلاش باك » و « الرسائل المتبادلة » و « تقديم وتأخير التصورات الذهنية » و « الحوار بطريقته الجديدة » كلها مستوردة من الغرب ما عدا السرد الذى هو فن عربى صميم · والشكل فى « زقاق المدق » مستورد ! (انظر ما قاله جاك بارك فى ذلك) ·

وبعد ، فانى لم أتعرض الا الى الاخطاء الكبرى التى وقع فيها السيد على الشملى اما البقية الباقية فيستطيع ان يبرز ذلك كل قارىء له إلمام بالأدب الحديث وبعلم اللغة وبالفن القصصى والروائى الحديث وبعلم النفس ·

وانه ليؤسفنى ان أرى شابا مثقفا ينتهج ما ينعت بالنقد التهجمى التحطيمى الذى يفسد أسباب الحوار ويعفن ثمرة الجهد والاجتهاد ويغالط الناس فى مفاهيمهم الادبية ·

وانى على يقين انه لو نمى السيد على الشملى ثقافته النقدية والقصصية والادبية لما كتب هذا ولتريث ولاطلق لعقله لا لعاطفته وشعوره واحساسه وذوقه العنان كما يقال ·

وهكذا ما زلنا نطرح قضية النقد ومشكلة النقاد المسؤولين ومسألة ربط الحوار لا بين المنتجين فحسب بل بين المنتجين والجمهور أيضا (وذلك هو الأهم) خدمة للفكر التونسى الحديث وتفانيا فيه وإخلاصا له ·

ع· م·

كلمة للتاريخ

« وأحق الناس اضطلاعا بالنقد أهل الذوق الخالص من الاهواء ، وأهل المعرفة بفلسفة النقد ، لأن نقد النـاس بـلاء عظيم » ٠
المنجي الشملي (الفكر ـ جانفي 1967)

١ ـ تكسرت طواحين الريح وسكتت محركات البخـار كما غـرقت سفـن الصحراء وفلت رماح الغزاة والفاتحين ٠٠٠ صدىء التاج واهترأ النطع ومات السياف ٠٠٠ مات من أعدموا ڤاليلاى وكفروا الحداد ٠ مر على الاسلام أربعة عشر قرنا فهيهات أن يزعزعه طارىء أو يخلخله عارض ٠٠٠ حكم بالنفى على النقد الارتجالى الفضفاض وعلى لغته العقربية الجائرة ، وعلى طـرق الـوعظ والارشاد ، وعلى الحشو ، دخل ذلك الادب المنبرى المقعـد (بتشـديد العيـن وفتها) متاحف التاريخ ، وهجر الناس الزوايـا المظلمة وخرجوا بكلماتهم الى الشوارع ، الى الهواء تتنفس ملء رئاتها ، تطرق كل أذن وتلج كل دار ٠٠٠

رفع الحجاب عن المرأة ويرفع اليوم عن الادب مع هذا الجيل المستقبلى الجديد بعد أن تفجرت المعارف وتطورت البحوث وأقبل الناس على الحوار الواضـح المجدى ٠٠٠ إنه عصر الجمل المفيدة والكلمات المسؤولة والايجاز القـاهر ، عصر الانسان الذى يخطىء ويصيب ، يخيب وينجح ، يكذب ويصدق ، يمشى مع الناس فى الشوارع والاسواق ، يتشهى الجمال ، يكسل أو ينشط ككل واحد منهم يحمل فى نفسه متناقضات الوجود ٠٠٠ عصـر الانسـان المثقف المتفتح يحاول ان يفهم ، أن يعى ، عصر العلوم الانسانية المتحاضنة يفيد منها النقد الادبى ايما إفادة ، عصر الآداب فى التقائها الثرى مع الفنون والعلـوم والاكتشافات ٠ فاذا ما بحثت فى القصة الطليعية الحديثة وجدتها لم تعد تخضع « لقواعد العقل والمنطق ، بل أصبحت صورة للحياة المتفككة المتفتتة وخرجت فى شكل وعاء يضم كل المتناقضات التى تجعل الحيـاة كـومة من الاخـلاط العجيبة ، وكأن الانسان ينظـر الى الحيـاة لأول مرة ، وكأنهـا لغـز ٠٠٠ » (« لن القصة القصيرة » للدكتور رشـاد رشـدى) ووجـدتها تتفـاعل مع الفنون الجميلة فتأخذ عن الرسم ، وتأخذ عن الموسيقى ، والسينما وغيرها ٠

واذا نظرت فى الشعر القيادى الجديد ألفيته أيضا صورة أخرى ، وكلمة

أخرى وإيقاعا آخر ··· وكل شيء من حولنا – في دنيا الفكر – يتطور ويتقدم بصفة عجيبة ·

2 – إن للقارىء البسيط أن ينزعج ويثور مثلا على عز الدين المدني في قصته « الانسان الصفر » (الفكر – عدد ديسمبر 1968) التي تندرج تحت ما يسمى حديثا بالادب التجريبي · ولكن موقفك منها أنت كناقد أدبي – يا أخي – في هذه اللحظة الحضارية بالذات لا يمكن أن يقوم على ظاهر ما ورد فيها من لغة عربية « مكسرة » وقرآن عربي « محرف » · بل إنك إزاء تجربة فنية لك أن تتفه صاحبها وتسخفه وتكفره وتسرقه ، حتى تفرغ كل مخزونك اللغوي المخجل ، ولكن ماذا بعد ذلك ؟··· هل أفدت النقد في شيء ؟ هل تقدمت بالقضية ملمترا واحدا ؟ لك أن تقول ما تشاء ولكن عليك قبله أن تكون صاحب ثقافة مزدوجة عميقة ، وفكر متفتح رحب ، ونفس متحضرة تأبى كلمة السوء ، حتى يمكنك أن تفهم دلالة التجربة ومحورها ، وتبحث عن روافدها – لعلك تجد ما يبرر اتهامك لصاحبها – ثم تحللها وتنقدها كأثر أدبي بحت – كان عليك أن تحكم داخل النص لا خارجه وأن تحاول فهمه قبل مصادمته ، أن تكفره إن شئت دينيا،وأن تعود فتضع لبوس الادب والفن وتقبل عليه كما كنت تقبل على سائر النصوص ، يحدوك صادق العزم على استجلائه واستشراف أبعاده · وإن في حضارتنا وتاريخنا ما يحتاج الى إعادة النظر ، فلا بأس أن يراجع المفكر الكفء في هذا العصر وفي كل عصر جهاز لغته ودينه ، وشؤون تاريخه ومصيره · هذا ما نعتقده ونؤمن به ·

الطاهر الهمامي
إبراهيم بن مراد
محمد الحبيب الزناد
المنصف الوهايبي
محمد باردي
ابن الوادي (حسين الواد)
محمد السويسي
نور الدين بلقاسم

طلبة بكلية الآداب
تونس في جانفي 1969

حول قصة « الانسان الصفر »

هل من جديد في التجديد ؟

بقلم : جمعة شيخة

اذا اردنا ان نحلل كلمة « التجديد » بصفة عامة وجدنا انها تقوم على معنيين أساسيين : 1) الغرابة ، 2) الاتقان • ولاستساغة الجديد لا بد ان يتوفر عادة فيه هذان المعنيان فيثير دهشتنا لما اتى به من شيء غير مألوف من ناحية ولما فيه من دقة واتقان من ناحية اخرى •

والتجديد فى الادب خاصة يكون فى شيئين : 1) الاسلوب ، 2) المحتوى • ويكون الاديب مجددا بارعا اذا عرف كيف يوفق بين هذه المفاهيم الاربعة فيكون « اتقانه » لتجديده متناسبا مع غرابة هذا التجديد • ويكون التجديد فى الشكل متناسبا ـ بقدر الاستطاعة ـ مع التجديد فى المضمون : فلا يطغى احد هذه المفاهيم على البقية لان الاديب كالصانع او قل كالخالق لا بد ليكون الشيء الذى صنعه او خلقه كامل الصنعة او الخلقة من تناسب فى اعضائه وتناسق فى تركيبه •

فاذا اردنا ان نسلط هذا المقياس على قصة « الانسان صفر » لوجدنا انها اقرب الى التنافر منها الى التناسق ، فعنصر الغرابة قد طغى على العناصر الاخرى فاصبح كالسندباد بجزيرة الاقزام ووصلت الغرابة الى حد الغموض : وكان الغموض متنوعا ومتمثلا فى مظاهر مختلفة برز بصفة خاصة فى هذه اللغة التى استعملها الكاتب فهى لغة وان بدت عربية فى بعض الجمل فهى تبعد عن العربية فى كثير من الاحيان فتصبح كلمات تشبه كلام المشعوذين والسحرة • وقد ظننت فى الاول اننى لا افهم العربية فرجعت الى معاجم اللغة ومناجدها افتش عن بعض الكلمات ولكننى لم اجدها • فعلمت ان هذه اللغة المستعملة هى لغة « صفرية » لا لغة عربية • ولا يمكن للعاقل ان يجدد بلغة لا يعرفها الناس وان اراد ان يفعل فليتفق معنا فى لغته الجديدة او على الاقل ليعلمنا بها حتى وان لم نتفق معه عليها •

وتتمثل هذه الغرابة كذلك فى هذا الاسلوب وهذه التراكيب العربية تارة

و « الصفرية » تارة اخرى ، وفى هذه الجمل المرتبطة بصورة غريبة الى حد الازعاج ٠ والكاتب وان اراد بهذا الترابط تجديدا فى أساليب اللغة فقد انحرف عن المقصد فللتجديد فى اساليب اللغة مع صعوبته قواعد وان كان اراد بذلك الاشارة الى معان توحى بها هذه الاساليب فقد حقق بذلك العكس فغمضت المعانى التى يمكن ان يكون الكاتب قد اراد الاشارة اليها٠وما الذى دفع كاتبنا المجدد الى كل هذا الغموض ليعبر عن افكار سنرى فيما بعد انها بسيطة وساذجة ؟ الا يعلم اننا فى عصر لا يسمح الوقت فيه ان تقرأ قصته عشر مرات او اكثر ـ كما فعلت ـ ويخرج القارىء بعد ذلك بيد فارغة والاخرى فيها « صفر » فبالله عليك ايها الزميل المجدد ما الذى تريد ان يفهم القارىء من قولك « اقرأ بامس كرب اذ لى رتق قرق ٠٠٠٠٠٠ ذألى شهق زقق نهق نقق من ققق الاشرى من كرق الابقى من يلق الانقى من فلق الاتقى من غلق » فوالله لقد ظننت ان هناك دجاجة فى احلك الظروف « ظروف الدجاج » وهى على وشك ان تضع بيضتها ولكنها لم تجد المكان المناسب لوضعها ، وان هناك حمارا كان ينظر اليها بعين ملؤها الالم والحسرة ولكن ذلك لم يمنعه من ان يطلق قهقهة عالية من « قهقهات الاحمرة » ٠

ولم استغرب ـ كما فعل بعض الزملاء ـ من الخط بعد ان رأيت الكلمات والاسلوب فلكل كلمات جديدة واسلوب جديد من خط جديد وقد جدد المدنى كذلك فى الخط ٠ ولله در من جدد وكان تجديده كليا ٠ ولا يشبه هذا التجديد فى غموضه واحاطته الا ما نسمعه فى بعض الاديان عن المسخ فيقلب الانسان قردا او خنزيرا ويكون هذا القلب قلبا كليا ٠ ولننظر الى امثلة من هذا التجديد فى الخط يقول المدنى « والناس يرتل + يحمدل + يحوقل + يبسمل + يصلعم + ـون » اى الـ (ون) ـ كما يقول اهل الرياضيات ـ عامل مشترك مضروب فى كل الكلمات السابقة مثلما نقول س (3 ص 2 + 5 أ 2)٠

وهكذا نرى ان عنصر الغرابة اخفى تماما عنصر الاتقان ٠ ولم يكتف المدنى بذلك بل جعل الشكل المتمثل فى هذه اللغة الجديدة بكلماته واساليبها وبهذا القلب لبعض الكلمات مثل (الذى = اذلى ٠ ربك = برك ٠ الانسان = الاسنان ٠٠٠ الخ) ـ يسيطر هو الآخر على المحتوى فتضيع المعانى فى خضم هذه القوالب « الصفرية » التى كانت اكثرها لا يمت الى قواعد اللغة واساليبها بصلة ٠

ولولا ذلك التعليق الذى نجده فى الصفحة الاولى من قصة المدنى وهو قوله : « هذا تعبير رجل يبحث عن نفسه من خلال عالم اللغة والاشياء وهو يختلف باختلاف ساعات النهار والليل وفيه من الغموض ما فى انفسنا ومن البيان ما

فى السنتنا » لما امكن لى ان افهم شيئا من هذه القصة فقد اتخذت هذا التعليق نبراسا اهتدى به فى شعاب قصة المدنى ونستطيع ان نلخص المعانى التى فهمتها والتى جاءت فيها ونقسمها الى قسمين :

القسم الاول : هو قسم حاول فيه المؤلف ان ينظر الى العلاقة بين الله والانسان ويبدو ان المؤلف ان لم يكن ناكرا لما تقصه الكتب السماوية حول هذا الموضوع فهو متذبذب مضطرب ناقم على هذه القوة التى ارادت ان تجعل الانسان مكيفا حسب اهوائها وحسب مشيئتها ولعل تصرف المدنى باللغة فى هذه القصة يشبه تصرف هذه القوة الالهية بالانسان ٠

القسم الثانى : اما الجزء الثانى فهو المتعلق بالانسان فى حد ذاته وقد اراد الكاتب ان يبين لنا المتناقضات التى يمثلها الانسان فهو القوى الضعيف الخائف الجرىء تتجاذبه مجموعة من النزوات والغرائز فلا يستقر قراره ، حياته مضطربة ونفسيته معقدة ومع ذلك فهو يعتقد انه الاول والاخير ينظر الى نهايته المحتومة فلا يرضخ ولا يستسلم بل يقاوم ويصارع وهو مع علمه ان صراعه لا فائدة ترجى من ورائه وانه صراع فاشل الا ان نفسه الابية تحرم عليه الخضوع لان هناك مقومات ومعطيات اساسية يجب ان يعيش من اجلها ويقاوم لاعلائها فهناك الوطن وهناك تعلق الانسان بالوطن ٠

وقد حاول الكاتب ان يشير من حين الى آخر عدة مشاكل : سياسية ودينية واجتماعية وادبية فاشار « الى الزعماء الهجناء بالشعارات السراب » واشار « الى الادباء السخفاء بالعروض المتـزمت » وبقواعد اللغة المتحجرة واساليبها الجامدة ٠ واشار الى الانسان الرب « فاين الـرب انـا » واشار الى « التعبير الشعبى الحى » و « الاسلوب المتمرد » ٠٠٠ الخ ٠

وانتهى المدنى فى نهاية نظريته الفلسفية الى جملة معقولة ومفهومة وهى : الانسان « عجينة الارض بل هو نسغها بل هو حياتها بل هو مكيفها بل هو صانعها بل هو ربها » ٠

والناظر الى هذه المعانى لا يجد من فضل للمـدنى الا انه جمعهـا فى هذا الاسلوب المزعج المتمرد فقد طرقت هذه المواضيع وتنوقش فيها المرار العديدة وما زال البعض منها على بساط البحث الى يومنا هذا ٠ فمن لم يسمـع بهذه الذبذبة وهذا الاضطراب والشك فى الدين ومن لم يسمع بهذه الدعوة الملحة للمقاومة وعدم الاستسلام ؟ انها امور اصبح البعض منها مبتذلا لكثرة تداولها واصبح البعض الآخر يمثل مرحلة من مراحل تفكير الانسـان وهى مـرحلة « المراهقة الفكرية » ٠ ولعل المدنى ما زال يتخبط فيها ٠

ولم اجازف بالقول عندما اتهمت الكاتب بهذه المراهقة الفكرية فالادلة عليها بارزة فى هذه القصة فهو يحاول ان يظهر للقارىء براعته فى مجموعة من العلوم فيستعمل تعابير نحوية اخنى عليها الدهر « اكلونى البراغيث » ويستعمل لغة الفلسفة « المقولات العقلية العشر » ولغة الهندسة والرياضيات فى الخط كما رأينا وفى قوله : « ربع الدائرة وكور التربيع » ولا يرى مانعا من استعمال لغة الكتاتيب (بالصاد كالصفرة بالحاء كالحمرة بالباء كالبياض) التى تشبه قولنا فى الكتاب ونحن صغار « أليف لا شىء عليه والباء وحدة مسفل والتاء اثنينا ملفوق » ويستعمل لغة المشعوذين المفهومة وغير المفهومة فهذا مسيلمة الكذاب لعنه الله يمد كاتبنا بقرآنه « الفيل وما ادراك ما الفيل له خرطوم طويل ٠٠٠ » ونسى المدنى قول مسيلمة « والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا والاقمات لقما » وهو القول الذى كان من الاولى ان يستعين به الكاتب لانه يوافق كلامه ويشبهه الى حد بعيد ٠

ولا ادرى لماذا اتخذ الكاتب اسلوب القرآن فصنع به ما صنع وقال ما قال : لعله اتخذ ذلك حسب قاعدة « خالف تعرف » ولكنى اقول لكاتبنا المفضل انه اخطأ وانه اراد ان يجدد فاغمض فاسلوبه مع ما فيه من مس لنفسية المؤمن الصادق الايمان لم يحقق الغرض الذى يرجوه٠ وحتى اذا اردنا ان نكون مؤمنين بايمان المدنى فان هذا الادب لا يشبه الا الادب الجمود الذى اتفق عليه كل من نطق بالضاد انه افسد اللغة وعطل سيرها ٠

فهل نرجع الى ما اتفقنا واتفق كل الناس انه جمود ليقال عنا اننا مجددون ؟

ج٠ ش٠
(أستاذ)

الشعر الغزلي في الميزان

بقلم فضيلـــة الشابـــي

ان المتصفح للاعداد الاخيرة من مجلة الفكر وخاصة منها العدد الثـــاني والثالث سرعان ما يلاحظ في تلك الندوات النزاع الموجود بين اتجاهيـــن مختلفـــين .

الاول : يتمثل في التحمس للشعر النضالي الملتزم

والثاني : في الرد على هذا التحمس

وسرعان ما يلفت نظره مثل هذه الاقوال :

« **الشاعر الاصيل عندي من يشعر بأن له رسالة في حياته من غيـــر أن نهمس بذلك في أذنه .**

« **الشاعر الاصيل في عصرنا قوة تبني وتشيد للغد الافضل** » (1)

أو هذا القـول : « **وما من شك في أن هذا الشعر** (يعني الشعر الغزلي) **جميل ومرغوب فيه مع الاسف الشديد [....] .. ولكن المهم عندي هو أن لا يكون الشعر مثيرا وجميلا بل أن يؤدي وظيفة انسانية ..** » (2)

أو هذا القول أيضا : « **فأمرك الشعراء** (الخطاب موجه الى الطيب الرياحي) **بسلوك مسلكك ضرب من الغرور وحمى التيه ... اذ في أمرك تحد وافراط في اجبار الغير على مـا لا طـاقة له عليه في ميـدان هو للاجبـار كالاضـافة للتنوين** » (3) .

---

(1) نقد قصائد العدد الماضي من « الفكر » : الطيب الرياحي « الفكر » العدد 2 ــ نوفمبر 1968 ص 81

(2) نفس المصـــدر .

(3) مقال : شعر أم تشاعر : على الطرابلسي « الفكر » : العدد 2 نوفمبر 1968

لهذا تعلقت رغبتى فى النظر عن كثب فى هذه الآراء وفى اعطاء وجهه نظر

يرى الاخ الطيب الرياحى أن أصالة الشاعر تتمثل فى شعوره بالرسالة وفى وجوب كونه : « **صوت نضال ضد الظلم والجوع والفقر** » وبصفة أعم ينادى بضرورة تأدية الشاعر لوظيفة انسانية ولهذا السبب ينبغى طرح بعض الفنون الشعرية مثل الشعر الغزلى « **لانه عديم الفائدة** » ولانه لا يؤدى الرسالة ان لم نقل انه يخل بها .

يقول فى قصيد : « أغنية الفقر .. والخجل » (1)

« **ولكننى فقير لا أحب الجنس لا أهوى**
وأمقت لفظة الحب
دعينى ارسل النجوى
وأحمل طى اعماقى لهيب الثأر والشكوى
ملايين من الايتام فى قلبى
تعيش جميعها تحيا على هدبى »

وفى هذه الابيات القليلة يتجلى بوضوح اتجاهه الملتزم .

وأمام هذه النداء الصريح بضرورة التخلى عن الشعر الغزلى ينهض عدد من الناقدين للرد على تحديه الشعر والشعور معا ومن بينهم الاخ على الطرابلسى فى القولة التى أوردناها سابقا .

ويحتد هذا النزاع كل يدافع عن اتجاهه دون محاولة ارجاع هذه القضية الى طبيعة الادب والشعر العالمى بصفة عامة والادب والشعر العربى بصفة خاصة ومحاولة فهم هذا النزاع على ضوء هذه الطبيعة .

يقول رجاء النقاش فى مقال له تحت عنوان : هل للشعر العربى الجديد فلسفة ؟ (2) مبينا الطابع الذى يتميز به واقعنا العربى :

« **ان العلم والتغير الاجتماعى الكبير الذى يطرأ على حياتنا وانتقالنا الحتمى من بيئة زراعية الى بيئة صناعية وبزوغ الفكرة الاشتراكية فى مجتمعاتنا مهما تفاوت الايمان بها .. كل هذا قد أعطى المرحلة التى نعيش فيها « طابعا واقعيا» فلم نعد نعتمد على الخيال أو الخرافة أو التسليم الغيبى فى تصورنا للحياة فى**

---

(1) نشر فى « الفكر » العدد 1 - اكتوبر 1968
(2) مقال : « هل للشعر العربى الجديد فلسفة » : رجاء النقاش مجلة الاداب السنة 10 (1962) العدد 3 مارس ص 37 - 38

مختلف مجالاتها واتجاهاتها ، لم تعد المرأة سحرا ووهما ولم يعد الريف جنة من البساطة والسذاجة والنعيم ولم يعد الفقر والغنى حكمين مطلقين ثابتين لا يمكن التحكم فيهما أو تغييرهما [٠٠٠٠] فالمزاج العام لهذه المرحلة هو المزاج الواقعي ـ ومن هنا كان الاتجاه العميق الى الارتباط بالحياة في الشعر الجديد»

وفي هذه الفترة الواقعية التي يعيش فيها شعرنا ويترعرع ويتفاعل مع بيئته لم يكن الالتفات الى القضايا الاجتماعية جديدا بالنسبة الينا فقـــد لاحظناه منذ بداية القرن التاسع عشر ولم يخل منه حتى الشعر الرومانطيقي نخص بالذكر منه في شعرنا التونسي النزعة الاجتماعية النضالية في شعر أبي القاسم الشابي ٠

وقد كان الاتجاه الاجتماعي في الشعر العربي الحديث من بين الاتجاهات التي تميز بها فكانت اجتماعيات حافظ ابراهيم والرصافي ٠ وقد تطور هـذا الاتجاه تحت تأثير الفلسفات الاجتماعية الحديثة ولا يجهل أحد الدور الذى تلعبه الاشتراكية في حاضرنا لا على الصعيد السياسي والمذهبي فقط بل وفي الميدان الادبي كذلك ٠

وان الراجع الى تاريخ الشعر العربي قديما وحديثا لواجد شعراء اتخذوا شعرهم وسيلة للتعبير عن مشاعرهم حينا وعن الدفاع عن عصبيتهم القبلية أو السياسية والمذهبية حينا آخر ٠ فمن التعبير عن المشاعر ومن الدفاع عن القبيلة أو الحزب السياسي المذهبي كان الشعر الغزلي وكان الشعر السياسي المذهبي وكان الشاعر العربي القديم لا يستنكف من ذكر مشاعره وتتبعـه للجمـال بجانب نضاله في الميدان السياسي أو المذهبي ٠

وقد تجلت هذه الظاهرة خاصة في الشعر أيـام بني أميـة حيث كثـرت الاحزاب السياسية المعارضة للحزب الامـوي فازدهر الشعر السياسي خاصة عند **الاخطل وعبد الله بن قيس الرقيات** وقد كان زبيريا يكره الامويين وكثيرا ما كان يهجوهم لكن تحزبه للزبيريين لم يمنعه من أن يكون من أشعر الغزليين فازدهار الشعر السياسي المذهبي اذن لم يعق ازدهار الشعر الغزلي ـ والمدارس الغزلية معروفة في الشعر العربي

واذا نحن رجعنا الى الشعر العالمي فسنجد نفس هذه الظاهرة

فارقون Aragon الشاعر الفرنسي مثلا قد ألف ديوانا بأكمله فـــي الغزل ٠٠ أسماه « الزا » باسم صاحبته فلم تثنه مشاركته في حروب المقاومة الفرنسية ضد ألمانيا عن التغني بحبه ولم يثنه تمذهبه للحزب الشيوعـــي عن ذلك أيضا وعلى من يريد التحقق من ذلك أن يرجع الى شعره ٠

اذا فدعوة الاخ الرياحي الى الادب النضالي عامة والى الشعر الذي يخـدم القضية خاصة لم تكن جديدة بل هي طبيعية اذا نحن وضعناها في اطارها العام من التاريخ الادبي خاصة والتاريخ الفكري عامة ·

ولا ألوم الاخ لانتسابه الى هذه المدرسة أو تلك بل الذي يلام عليه هو هذا التحمس الذي يؤدي به في أغلب الاحيان الى الغلو والى عدم تجاوز المدارس الادبية والى اغفال النظر الى حقيقة الادب ·

ويمكننا الرد على الاخ الرياحي بأن نقول ان الادب اتجـاه وليس توجيهـا فلنترك التوجيه للميدان السياسي ولا ننس أن الادب هو بحث عن الاعمـاق ونظرة للوجود وأن الشعر تجربة وخلق أو لا يكون ! وأعتقد أن هذه هي الغلطة الكبرى التي ارتكبتها المدرسة الواقعية سواء كان ذاك في النثر أم في الشعر وهي جعل الادب وسيلة لتصوير الواقع حسب مبادىء والعمـل على تطـوير الواقـع حسب مبادىء والى تقييم الجمال والخلق الفني حسب مبادىء والدعوة الى جهل أو تجاهل بعض القضايا تناستها هذه المبادىء · وهكذا اصبح الشعر وسيلة تخدم بها القضية وأصبح بطريقة لا مباشرة يخدم السياسة ويعتبر الاسس الفنية فيه من تيه الخيال والاساطير والخرافات وهكذا أصبح المعيار الاساسي الذي يقاس به الشعر بصفة خاصة والادب بصفة عامة هو المعيار السياسي الايديولوجي ·

ولا يظنن الاخ الرياحي أنني أتهجم على الشعر الذي يخدم القضية فـانني احترمه بل أدعو اليه لنبل مقصده ولتلك الارادة الفعالة في تحـريك الميـاه الساكنـة وفي تفجير السيول العارمة التي تحطم الاشجار الخرافية لتلقي البذرة الحبلى في اعماق الارض ·· وليعلم الاخ أنني احتـرم بل أؤمـن بتلك الثورية وذلك الشعر الثائر الحق تلك الثورية التي تبتعد عن الغلو الناتج عن اندفاع سطحي ونظرة سطحية لطبيعة الادب ومكانه في التاريخ ·

لكن الشيء الذي دفعني الى اعطاء وجهة نظري هذه هو ارادة الرد عـلى الغلو في المناداة بهذا الشعر النضالي ثم مناداتك بضرورة التخلي عن الشعر الغزلي لا لشيء الا لانه لا يخدم القضية ! كيف : أيحصر الشعـر في خـدمة القضية ؟ أيحصر الشعر في اعطاء الخبز للجياع والايتام فلنترك هذه المهمة للاقتصاد السياسي !! ولنحاول في الشعر ان نترجم في صدق عن تجاربنا سواء أكانت فنية أم فلسفية أم وجدانية أم ما ورائية · أنسيت أخي الرياحي وأنت القائل : **ولكنني فقير لا أحب الجنس لا أهوى وأمقت لفظة « الحب »** (1)

---

(1) قصيد : «أغنية الفقر ·· والخجل» : الطيب الرياحي نشر في الفكـر عدد 1 ـ أكتوبر 1968

أنسيت أن هذا الحب هو من أكبر القضايا التى تعترض الضمير الفلسفى المعاصر ؟ بل انه ما انفك يعترض الفكر البشرى خلال التاريخ اذ لولاه لانقطعت الحياة على الصعيد الفردى والجماعى ٠٠ والفكرى ولولاه لما عاد أى معنى لقولك ٠

« **ملايين من الايتام فى قلبى**
تعيش جميعها ، تحيا على هدبى » (I)

فان قلت لكن حبى للايتام ليس هو حبى للمرأة قلت : أو تعتقد أن علاقة الرجل أو الشاعر بالمرأة لا تكون الا جنسية ؟ فان نعم فما ذهبت اليه خطأ يثبته الواقع النفسى والفكرى فسيظل الشاعر يتغزل بالمرأة وتظل الشاعرة تتغزل بالرجل ما لم يمسخ الانسان ! ٠

وقد أتساءل أمام موقفك هذا عن السبب الخفى الذى أداك الى اتخاذه بقطع النظر عن « **تشيعك** » للشعر النضالى وأحاول أن أجد هذه الاسباب فى الشعر الغزلى نفسه اذ أعتقد أن هذا الشعر لم يزل فى أغلبه تقليديا موضوعا وشكلا ٠ ولم يزل الشعراء لم يغيروا نظرتهم للمرأة فأتى الشعر الغزلى بكاء ٠٠ وأنينا ٠٠ ووصفا « **للنهود الثائرة** » والتبعة لا ترجع فى هذا الى الشعر الغزلى بل الى نظرة الشعراء للمرأة والجمال وأنت لا شعوريا قد ثرت على هذه النظرة الجامدة كما ثار ويثور كثيرون مثلك ٠

وهل حاول المنادون بضرورة وجوده الشعر الغزلى النظر فى هذه القضية ؟٠٠٠ سؤال اترك الاجابة عنه للذين ينادون بضرورة وجوده ٠

وأود قبل الانتهاء من بسط هذه الخواطر أن ألقى سؤالا على الاخ الرياحى ان سمح « ألا تعتقد أن هذه النزعة الواقعية فى أدبنا ما هى الا ظاهرة اجتماعية فكرية وثقافية وجدت فى فترة تاريخية معينة وانعكست فى الادب وخاصة منه فى الشعر ؟

وقد تخلق فترات تاريخية أخرى نزعات قد تختلف تمام الاختلاف عن هذه النزعة ومن المعلوم أن ظاهرة التبدل والاختلاف لا تنحصر فى الادب بل تتعداه الى الميدان الفكرى الحضارى وما الادب الا مظهر من مظاهر الحضارة المتعددة

لذا اعتقد أن الاديب لا يكون أديبا حقا الا اذا استطاع التحرر من قيود المدارس واجتياز الموقف الذى يوجد فيه للسيطرة عليه وفى السيطرة على الموقف تتمثل القدرة على الغوص فى روح العصر ثم التطلع الى المستقبل والتنبؤ به سواء كان ذلك فكريا أو أدبيا ٠

وما الادب الا سبر للاعماق ٠٠ وتنبؤ :

وما الخلق الادبى والفنى الا مقدرة على تجاوز الحدود ٠٠ وتمزيق الحجب ٠

فضيلة الشابى

(I) نفس المصدر ٠

تاريخنا بين المصادر الرسمية والشعبية

بقلم : الطاهر الكنوزى

نشرت جريدة « الشعب » الجزائرية بتاريخ 26 ـ 11 ـ 68 فى عددها 1847 الصفحة السابعة ملخص محاضرة كان قد ألقاها الاستاذ ـ **ايف لاكوست** ـ بالمركز الفرنسى للوثائق تحت عنوان «الاستعمار والتخلف» وقد حلل الاستاذ المحاضر مجموعة من العوامل التى ساعدت على الاستعمار وابقت التخلف . كذلك تعمق الاستاذ فى تحليل المعطيات الاجتماعية التى كانت سائدة والتى عملت على تهيئة الارض التى استهدفت للغزو الاستعمارى واستشهد الاستاذ بوقائع التاريخ ادلة على صحة الاراء التى انتهى اليها ... ومن الوقائع التى ذكرها استعمار **الجزائر والمغرب وتونس** من طرف فرنسا . وقد قارن الاستاذ ـ لا كوست ـ بين الكيفية التى تم بها احتلال كل قطر من هاته الاقطار الثلاثة وانتهى الى سلم ترتيبى خلص فيه الى القول : ان الغزو العسكرى الفرنسى جابه متاعب وصعوبات عند احتلاله **للجزائر** ، غير انه بالنسبة **للمغرب** لم تكن القضية كذلك ، اذ اقترنت عملية الغزو بالسهولة واليسر غير المتوقعين ..! اما بالنسبة **لتونس** فيقول الاستاذ لاكوست ان احتلالها كان « عبارة عن نزهة حربية » ..!

وهذا الحكم الذى اصدره الاستاذ المحاضر فى رأينا يحتاج الى المناقشة والتوضيح وهو ما سنفعله فى هذا البحث ... واول ما نلاحظه ان الاستاذ فى حكمه هذا استند على احداث تاريخية لزمن معلوم ووقائع ما تزال بعض احداثها عالقة باذهان الاحفاد من جيلنا الحاضر ولهذا فالامانة التاريخية تفرض علينا وعلى كل من يدعم اراءه بالتاريخ ان يأخذ الوقائع اخذ شمول واحاطة واستقصاء واى تقصير او تفريط يجعل الدارس يقفز فوق الاحداث ولا يتمكن من اعطائها ما تستحق من نظرة واعتبار ... وعندما يفعل ذلك يكون تجاوز المفهوم التاريخى وابتعد عن الامانة التاريخية ولعله يصل الى ظلم التاريخ والتعسف فى الحكم ... واخشى ان يكون الاستاذ ـ لاكوست ـ فعل بعض الشىء من هذا فى حديثه عن **تونس** وحكمه عن طريقة وكيفية احتلالها بأنها كانت .. « نزهة حربية » .

لقد كانت قسوة الاستاذ ـ لاكوست ـ فى ابعد حدودها عندما سلب من الشعب التونسى فضائل العزة والكرامة وهو فى قسوته هاته يظلم الشعب

ويتجاوز المصادر التاريخية التى لا تجاريه فيما ذهب اليه من ان احتلال **تونس** كان « نزهة حربية » ٠

واقرب الظن ان المصادر التى نشير اليها لم تصل الى الاستاذ المحاضر ولا هو قادر بحكم الظروف على الوصول الى هذه المصادر ٠٠٠ والدراسة الواعية الملمة بالاحداث التاريخية لفترة دخول الاستعمار الى **تونس** لا تكون موفقة اذا اعتمدت فى تحليلها واستدلالها على المصادر العامة الرسمية من المدونات الحكومية الموجودة بدور الوثائق على اختلاف اماكن تواجدها ٠٠ لان هاته الوثائق فى الغالب تسير فى الخط الذى توجد فيه الهيئة الرسمية التى تولت جمعها وتبويبها والاحتفاظ بها ٠٠٠ وحتى تكون هاته المصادر فى الوضع الذى نطمئن اليه علينا ان نضيف اليها اصداء الاحداث بين فئات الشعب صاحب القضية والحكم ٠٠٠ ولكن اين نجد هذه الاصداء ؟ وما هى المصادر التى تصور لنا تلك الاحداث ؟ والجواب على ذلك انها موجودة غير انها ليست فى متناول الجميع وهذا سبب صعوبتها ٠ اما اين توجد ؟ وما هى هذه المصادر ؟ فهى عبارة عن « الازجال » الشعبية و « الحكايات الملحمية » و « ملزومات » يحتفظ بها ابناء ــ **العروش** ــ و ــ **المداشر** ــ و ــ **الدواوير** ــ و ــ **النجوع** ــ على شكل ملاحم ترينا خريطة الحادث التاريخى باختلاف اتجاهاته وتصاعده ولا تغفل عن ادق الاشياء ٠٠٠ ولكن ليس فى امكان كل الناس الاستشهاد بهذه المصادر او فهمها ، ذلك لانها باللسان الدارج لغة الشعب وهى ايضا غير مكتوبة وانما هى شفوية يتناقلها الناس عن بعضهم البعض ويحفظونها على شكل «ملزومات» واشعار ملخصة بطريقة تعبيرية تحس وأنت تستمع اليها بأحاسيس الحادث الذى تصوره واجمل ما فيها انها كالوثائق تقترن باصحابها الذين قالوها وتذكر الاسماء والاماكن التى كانت مسرحها وتفرد بالذكر الرجال الذين مثلوا ادوارها ٠ فهى اذا مصادر هامة ومفيدة والدارس لفترة من فترات تاريخنا الذى قيلت فيه مثل هاته « الازجال » و « الملزومات » و « الحكايات » لا تكتمل له الصورة باحاسيسها وابعادها حتى يأخذ نفسه بالبحث عن هذه المصادر التى كانت موجودة خاصة إبان الاحتلال الفرنسى وكانت تسمع فى كل نجع ودشرة وعرش من العروش ٠ ومن مميزات هاته المصادر الشعبية انها قيلت بلغة الشعب الدارجة وكذلك قيلت بعيدة عن الجهات الرسمية ، ومن ثم فهى توضح وتبين ما تلملمه الوثائق والمصادر الرسمية وحتى الفجوات التى تتركها الوثائق الرسمية فان هاته المصادر الشعبية تتكفل بسد الثغرة وتغطى الحادث من سائر وجوهه وتجيب على السؤال الذى قد يرد ٠٠٠ والدارس لفترة وزمان هذه المصادر من غير الرجوع اليها يكون فى رأينا كالأولين الذين يأخذون من عبر التاريخ ما

يتصل برجال السلطة والحكم ويهملون دور الشعب واعماله ٠٠٠ ولعل هذا ما فعله الاستاذ « لاكوست » فى حديثه عن احتلال فرنسا **لتونس** ؟ لان ما تقوله الازجال الشعبية وملزومات ابناء **العروش** وحكاياتهم المتصلة باسانيدها هو ان احتلال **تونس** لم يكن « نزهة حربية ٠٠! » كما قال الاستاذ المحاضر وانما كانت عملية استسلم لها الحكم القائم فى ذلك الوقت على حين رفضها الشعب وهب يقاوم رغم الاوضاع السيئة التى كانت عليها **تونس** فى ذلك الوقت وهكذا دونت ملاحمنا الشعبية ما شهدته مداشر وقرى **الفراشيش** و **جبال خمير** و **ماجر** و **الكاف** و **جلاص** و **الساحل** و **صفاقس** وارض **الجنوب التونسى** على اتساعها والتى ظلت قلعة منيعة على الاعداء الامر الذى تطلب تفريد الحملات المتتالية ٠٠ هاته الحملات التى ما تكاد تتغلب على منطقة حتى تنتفض اخرى لدرجة انه بقيت ارض الجنوب كلها منطقة « **عسكرية** » بتعبير سلطة الاحتلال نفسها ٠ واستمر هذا الوضع حتى استقلت تونس واستعادت كرامتها وعزتها ٠٠

فالمصادر الشعبية اذا تخالف الاستاذ لاكوست فى تصوره **ان احتلال تونس** كان « نزهة حربية » وانما الامر على عكس ذلك إذ كان الاحتلال مغامرة استطاع المحتل لاسباب ليس هذا مجال تفصيلها ان يدعم وجوده واحتلاله للمدن الكبيرة والعاصمة خاصة ٠ ولكنه فى غير العاصمة ضل المحتل ابعد ما يكون عن الراحة والشعور بها فضلا عن ان يتصور معنى النزهة ٠٠٠ وهذا ما تشير اليه حتى المصادر الرسمية والفرنسية منها وعلى حسب ما يسمح به كبرياء العظمة ٠٠

فاذا كانت الوثائق الرسمية تذكر ذلك وتشير اليه فان المصادر الشعبية تفصله وترسم صوره وابعاده وخريطة حوادثه ، وكان على الاستاذ المحاضر الا يغفل عن ذلك ما دام يتحدث عن التاريخ والا يخونه التشبيه فيتوهم ان احتلال **تونس** كان « نزهة حربية » ٠

ط٠ ك٠

مدرس التاريخ بثانوية الثعالبية
(الجزائر العاصمة)

أضواء الفكر

◆ **تعلن كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار ما يلي :**

طالعنا فى عدد 13 نوفمبر 1968 من مجلة « آخر ساعة » المصرية كلمة منسوبة الى السيد حسين كمال مخرج الفيلم « البوسطجى » يحتج فيها على هيئة المهرجان الدولى الثانى للايام السينمائية بقرطاج • مدعيا انها « اقتطعت من فيلمه مشهد الراقصة الغجرية مع مدير البريد » قبل عرضه فى المسابقة الرسمية للمهرجان •

وان كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار اذ تفند هذا الادعاء وتكذبه تكذيبا قطعيا تغتنم الفرصة لتؤكد ان هيئة المهرجان لم تقتطع أى مشهد أو منظر من أى فيلم من الافلام التى قبلتها للمشاركة فى الدورة الثانية المنعقدة فيما بين 13 و 20 اكتوبر الماضى وان القانون الاساسى للمهرجان الذى وافقت عليه المؤسسات الدولية المختصة قبل اعترافها بالايام السينمائية بقرطاج والذى وزع بمختلف الطرق على نطاق عالمى وشاركت جميع الافلام من 36 دولة على أساس الاعتراف به لا يسمح لهيئة المهرجان باجراء عمليات رقابة مثل التى تتهمها بها مجلة « آخر ساعة » وانما يكتفى بتخويلها حق الرفض الكلى لأى فيلم يتعارض مع أهداف المهرجان • وعليه فما دامت الهيئة قد قبلت مشاركة فيلم « البوسطجى » وتم عرضه فعلا فى المهرجان فان ذلك العرض وقع بدون ان يطرأ أى اقتطاع ولا غيره من انواع الرقابة على نسخة الفيلم التى أرسلتها للمهرجان المؤسسة العامة للسينما المصرية بالقاهرة •

◆ **توصيات ملتقى القصاصين المغاربة :**

ان ملتقى القصاصين المغاربة المنعقد بالمركز الثقافى الدولى بالحمامات من 1968/12/24 الى 1968/12/28 بتونس قد درس قضايا الخلق القصصى فى مجتمعاتنا السائرة نحو التحول كما عالجتها دارسات من ليبيا والجزائر والمغرب وتونس والتى أثارت مناقشات عدة تتعلق بالالتزام ووسيلة التعبير وواقع الصراع القائم بين التأثر بالآداب الاجنبية والارتباط بالتراث الثقافى العربى ، والبحث عن أدب أصيل متفتح على مشاكل الانسان المعاصر فى المغرب العربى والعالم • كما تعرض الملتقى لتقنيات الادب القصصى من خلال التجارب الشخصية للقصاصين المشاركين وما يعترضهم من عقبات تتعلق بعملية الخلق

شكلا ومضمونا ، ولدور القصة فى تحليل المجتمع المغربى والكشف عما فيه من العوامل السلبية والايجابية والدعوة الى مثل عليا ومستقبل أفضل للانسان المغـربى •

واعتبارا لما سبق يرى الملتقى :

1 ـ ان تطور مجتمعنا المغربى يفـرض على الكـاتب القصصى أن يتحمـل المسؤولية الكاملة فى التعبير عن مشاكل هذا التطـور تعبيرا صادقـا حـرا لاستخلاص رؤية واضحة من شأنها أن ترسم قيما انسانية تلائم مقتضيـات التقدم والتجدد •

2 ـ ان القصاص المغربى يتحمـل مسـؤولية التمسـك بحـرية الادب فى التعبير ، والتشبث بمقومات كرامة الانسان وبشرعية نضاله من اجل التحرر الشـامل •

ويعتبر ان قضية فلسطين قضيـة نضـال فى سبيـل الحـرية والكـرامة الانسانية ، لذا فالقصاص المغربى مدعو الى مناصرتها وتأييدها ، كما يسجل الملتقى أن نضال الشعب الفلسطينى هو لبنة فى بناء صرح التحرر والعدالة فى العالم ومبعث الهام لادب بطولى انسانى •

3 ـ يعتبر الملتقى ان العمل القصصى لا يتقيد بقواعد مقررة بل يقـوم على أساس تجارب شخصية متجددة ومبتكرة •

4 ـ ان العمل القصصى وحدة متكاملة فى الشكـل والمضمـون تحتـم على القصاص المغربى تطويع اللغة لمقتضيات الابداع القصصى لتكون اداة مسايرة لتطور العصر وتجدد القيم الفنية •

5 ـ ان الصراع القائم بين تأثر القصة المغربية بالآداب الاجنبية وارتباطها بالتراث العربى وطموحها الى بلوغ أصالة ذاتية يكون مرحلة حضارية وظاهرة اجتماعية ضروريتين لا يمكن تجاوزهما الا بالاعتماد على ثقافة عصرية تقوم على الايمان بالقيم الايجابية لتراثنا والتفتح الواعى والدائم على الادب الانسانى العالمى ومواصلة البحث المتعمق لتتآلف القصة المغربية مع مشاكل العصر •

6 ـ ان الاخلاقية فى العمل القصصى لا تعنى تجمدا فى قـالب جمـالى أو اديولوجى معين وانما هى عمل على تحقيق مثال فنى انسانى مستوحى من واقع الانسان المغربى وتطلعاته ، وتجديد مستمر لوسائل هذا التحقيق •

7 – يوصى الملتقى بضرورة ايجاد اتصال دائم بين القصاصين المغاربة واقامة ملتقى سنوى لهم يحدد مكانه وتاريخه ، كما يوصى بانشاء رابطة للقصاصين المغاربة وتكليف أربعة مندوبين من كل من ليبيا والجزائر والمغرب وتونس لرعاية شؤون القصة ولتنظيم الملتقيات السنوية وتنسيق الجهود المشتركة ، منها تبادل المطبوعات الادبية والحث على نشر الانتاج القصصى وتوزيعه واذاعته فى بلدان المغرب العربى ٠

8 – يوصى الملتقى بضرورة تخصيص جائزة سنوية للقصة المغربية (الطويلة والمجموعة القصصية القصيرة) تنظمها الوزارات المسؤولة عن الشؤون الثقافية فى حكومات المغرب العربى ٠

9 – يوصى الملتقى بضرورة الاعتناء بالترجمة لما فيها من اثراء للقصة المغربية والتعريف بها ٠ واعتبارا لذلك يوجه الملتقى نداء الى كل الادباء المغاربة والهيآت المسؤولة عن الشؤون الثقافية والمتصلة بها للمساهمة فى هذه الحركة٠

10 – يوصى بضرورة تعاون الهيآت المسؤولة عن حقوق المؤلفين فى الاقطار الاربعة قصد المحافظة على حقوق التأليف للقصاصين المغاربة وصيانتها داخل المغرب وخارجه ٠

11 – يوصى بضرورة ربط الاتصال بين القصاصين المغاربة وسائر كتاب القصة ، خاصة فى المشرق العربى لتبادل التجارب والخبرات الادبية ٠

وينتهز ملتقى القصاصين المغاربة هذه الفرصة ليعبر عن عميق شكره وتقديره لحكومة الجمهورية التونسية التى رعت هذا الملتقى وللمركز الثقافى الدولى بالحمامات الذى نظمه ولمديره السيد الطاهر ڤيڤة وزملائنا من الكتاب التونسيين الذين دعوا الى هذه البادرة وعملوا من أجل تحقيقها وانجاحها ٠

وحرر بالحمامات فى 1968/12/27

لجنة الصياغة

• الحرية والالتزام فى الادب الرومانى المعاصر :

قرأنا فى كتاب يتحدث عن نهضة جمهورية رومانيا الاشتراكية فصلا تناول فيه نائب رئيس اتحاد الكتاب مسألة الحرية والالتزام فى الادب قال :

« ٠٠٠ ان اتجاه الفكرة الادبية لدى الكتاب والشعراء المعاصرين فى رومانيا قضية لا تتعلق فحسب بالميول الادبية الفـردية ، ولا بالالتزام للايديولوجية الماركسية ، فمن حيث تكوينها ، تطفر هذه الفكرة نحو الحرية ، لاننا نقبل الفن الادبى ، اذا ما فرضنا عليه التزاما ضيقا ولا شك انه خلال العشـرين سنـة الاخيرة ، قد منح المكان الراجح الاول للادب الوطنى ، القومى ، لاننا نلاحظ ، طوال هذه الفترة العصيبة التى تعيد رومانيا خلالها تنظيمها على أسس اجتماعية جديدة ، وعلى عقيدة مذهبية جديدة ، نلاحظ خصبا مذهلا فى الثقافة الجديدة ، ولامجال الابحاث الاجتماعية البشرية ، ولذا فان فن الكتابة قد اخضع نسبيا لمقتضيات الشمول الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، ومن جهـة ثانيـة ، ولنفس الاسباب فان الجيل الجديد من الكتاب والشعراء ، اى البالغين الثلاثين حتى الاربعين من العمر ، لا يمكن ان نصنفهم فى اطار مدرسة أدبية معينـة ، كالرومانطيقية ، والوطنية ، والخيالية ، من مختلف الميول والمذاهب ، فالعصر أو بالاحـرى هـذه الفتـرة الـزمنية ، قـد طبعت الادب بطـابع الـواقعية بشكل عام ٠

على ان هذه الاتجاهات الجديدة ، لا تعنى ابدا مقاطعة التقاليد الادبية القديمة لان القيم الكلاسيكية ما تزال محافظة على طابعها الحديث ، ويقـوم التجـديد بشكل خاص فى تجربة النظام الحديث ، المقرون بالشعور ، بالتحرر من اوزار الماضى واثقاله ، بالرغم من ان فن الكتابة يجب ان يتكيف بوضـح ، وحـالة رومانيا الراهنة ٠

كما ان الشعر ، ، الرائج فى الوقت الحاضر ، يسير فى اتجاه حديث جدا ، فالمحدثون الشباب يستطيعون الاندماج فى فولكلور رومـانى اصيـل نقى ، يتخذ كأساس للشعر الحديث ٠

وتقوم فى الوقت الحاضر نسبية وتناسق بين النثر والشعر ، بالرغم من ان النثر اكثر ملاءمة للتعبير عن فكرة العصر ، ولكن لا يمنع ان نلمس جنوحـا شعريا هائلا بين الشباب خلال الاعوام الاخيـرة ٠ حتى انه تشكلت مؤخـرا جمعية ادبية من الشعراء الشباب الذين يحاولون فرض الشعـر ، وينظمـون قصائد رائعة ، لا فى الاتجاه الوطنى فحسب ، بل فى الاتجاه الاوروبى وحتى العالمى ، فهم يفتحون مستقبلا أدبيا جديدا ٠

وهذا يعنى ان الدولة ترعى الفن الادبى رعاية كاملة وتؤمن الرفاه للادبـاء والشعراء » ٠